



مراسم  
عاشوراء  
شبهات  
وردود

السيد جعفر  
مرتضى  
العاملي



## هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج فنياً وعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

وتولّى العمل عليه ضبطاً وتصحيحاً وترقيماً

قسم اللجنة العلمية في الشبكة

مقدمة الطبعة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلقه، وأشرف بويته محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

إن هذا الكتاب ( مراسم عاشوراء ) قد جاء جواباً على تلك الأسئلة التي كثرت، وتوالت، ربما لأن البعض لم يزل يحرب هذه المواسم، ويهاجم حتى مواكب اللطم، بشتى الأساليب، ومختلف الوسائل، وهو يصفها باستمرار بأنها من مظاهر الجهل والتخلف (1).

بل لقد ادعى بعضهم: إن أي شيء يُلحق بالجسد أذى، أو ألماً، فهو حرام شوعاً حرمة ذاتية.

والأدهى والأمر من ذلك: أن ثمة من يحاول أن يدّعي للناس: أن هذا هو نفس ما يقوله سماحة آية الله السيد الخامنئ (مد ظله)، مع أن ما يقوله سماحته (حفظه الله) في هذا المجال، لا يلتقي مع هذا القول، لا

(1) راجع على سبيل المثال، كتاب: حديث عاشوراء ص 106 . راجع: فكر وثقافة العدد 17 ص 4.

من قويب ولا من بعيد..

إذ أنه (حفظه الله)، لم يمنع من اللطم . مهما كان نوعه . ولا رأى أنه من مورد الإيذاء للجسد المحرم ذاتاً .  
وحتى بالنسبة للتطبير . وهو ضوب الرؤوس بالسيوف . فإنه حفظه الله لم يقل: إنه حرام ذاتاً وقبيح عقلاً، بل هو  
قد حرمه من حيث إنه موجب لتوهين المذهب في الوقت الواهن . كما ذكره في إجابة له على استفتاء بتريخ  
24/3/2002 م رقم 18046 .

ف قوله (حفظه الله): في الوقت الواهن... ظاهر الدلالة على أنه بصدد تشخيص الحالة الخرجية الموجودة فعلاً،  
وقد أصدر حكمه المذكور، لا لأجل أن ضوب الرأس حرام ذاتاً، بل من حيث إنه رآه متعنوناً بعنوان ثانوي، هو  
ما يستؤمنه من وهن في المذهب في هذه الأيام .

فما يقوله سماحته، يوافق، من حيث مرتكوه، ما يقوله سائر علماء ومراجع الأمة .  
وما ورد في هذا الكتاب من نصوص قد جاء ليؤكد صحة ما قاله مراجع الأمة، ومنهم سماحة السيد القائد في هذا  
الصدد . ويوضح مدى الخلط الذي وقع فيه ذلك البعض، حيث اعتبر:  
أولاً: إن كل أذى حرام ذاتاً .

وثانياً: إن السيد القائد (حفظه الله) يقول بهذه المقالة .  
مع أن الحقيقة هي أنه لا يصح نسبة ذلك إلى فقهاء الأمة، وعلمائها . فلماذا وإلى متى يتم التعاطي مع هذا الأمر  
بهذه الطريقة؟! .

وقبل أن أترك القارئ الكريم مع هذا الكتاب، فإنني أستميحه العذر، فيما يرتبط بالطبعة الأولى، التي جاءت غير  
وافية بالمقصود، وفيها الكثير

## الصفحة 7

من المورد القاصوة عن إفادة العواد، مع لفت نظره إلى أنه قد بذلت محاولة تلافي مورد الإشكال في هذه  
الطبعة .

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت للتقليل من معانات القرئ الكريم، وإليه أقدم عنزي وعظيم امتناني وشكوي...  
عصمنا الله من الزلل، في الفكر، وفي القول، وفي العمل. والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله..

جعفر مرتضى العاملي

15/11/1423 للهجرة.

الصفحة 8

الصفحة 9

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلقه، وأشرف بريته، محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

فقد جاءت الآيات الشريفة لتأمر بالتذكير بأيام الله، وبتعظيم شعائر الله سبحانه.

قال تعالى: **(ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (1)**.

وورد عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وأمر كثرة تحت على إحياء أروهم (عليهم السلام)، (2) خصوصاً ذكوى عاشوراء.

ولا يصغى إلى الشبّهات التي تثار حول كون عاشوراء من هذه

## ( 1 ) سورة الحج الآية 32.

( 2 ) وسائل الشيعة ج 14 ص 501 ، والألمالي للطوسي ج 2 ص 228 والبحار ج 1 ص 200 راجع كامل  
الزبيلات ص 175 وقب الإسناد ص 18 وتفسير القمي ج 2 ص 292 وثواب الأعمال ص 223.

### الصفحة 10

الشعائر، أو ليست منها، فإنها لا تعدو كونها شبهة في مقابل بديهة، يلقيها غافل توة، وحاقد أخرى، وجاحد توة  
ثالثة.

هذا، وقد ظهرت عبر التريخ أساليب متنوعة تهدف إلى إحياء أمرهم، من قبل المتمسكين بكتاب الله، الحبل  
الممدود من السماء إلى الأرض، والمعتصمين ولاية أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة..  
وكان من هذه الأساليب: مواكب الحزن، التي قد يكون فيها لطم الخود والصنور، وضرب الظهور بالسلاسل.  
وحتى جوح الرؤوس.

وهي أمور لم يستسغها البعض، فأثار عاصفة من التغيير منها زاعماً أنها من مظاهر الجهل والتخلف توة. وأن  
فيها أذى للجسد أخرى، وأن الأذى يدخلها في دائرة الضرر، والضرر حرام عقلاً، وشرعاً. مدعياً: إن حرمة  
الأذى كحرمة الظلم وحرمة شرب الخمر، وأكل الميتة، وما إلى ذلك. بمعنى أنه كلما تحقق عنوان الضرر لحقته  
الحرمة.

أما قول من يقول: إن هذه الأساليب توجب وهناً في المذهب، وإساءة لسمعته، وتنغراً للناس منه.  
فهو ليس موضع نقاش، لأن معناه: إن ذلك إذا لم يتعنون بهذا العنوان، فهو جائز في حد نفسه، فتكون حرمة، أو  
جوبه، أو استحبابه، أو كراهيته، رهناً بما يعرض له من عناوين، وما يترتب عليه من آثار.  
لكن المهم هو اكتشاف الواقع، ومعرفة إن كانت قد تعنونت تلك العناوين بأي من تلك العناوين الموجبة لهذا الحكم  
أو ذاك، وربما يصيب الفقيه أو غيره في تشخيص ذلك، وربما يخطئ.  
وفي جميع الأحوال نقول: إن هذا القول ليس هو محط نظونا هنا.

## الصفحة 11

بل محط نظرنا هو الإجابة على أسئلة كثيرة وردت علينا حول دعوى أن الحرمة ثابتة للطم المؤلم، وضوب الرؤوس، من حيث إنه ضرر، والضرر حرام شرعاً وعقلاً.

فمست الحاجة إلى معالجة هذا الموضوع، معالجةً تميّط اللثام عن الواقع والحقيقة من خلال النصوص الإسلامية، التي لا بد أن يكون أي رفض، أو قبول، مستنداً إليها، وموتكراً عليها.

فنتبعنا تلك النصوص، حتى التريخية منها، وأوردنا منها ما يصلح أن يكون حجة ودليلاً.

فكانت نتيجة سعيها هذا: هو هذا البحث المقتضب الذي بين يدي القارئ الكريم، فنحن نقدمه إليه، ورجاؤنا الأكيد هو أن يتحفنا بملاحظاته، وينبهنا ويلفت نظرنا إلى ما يمكن أن نكون قد غفلنا عنه، إن رأى أن هناك ما يلزم التنبيه عليه، ولفت النظر إليه، وسوف نكون من الشاكرين.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين.

7 / 12 / 1422 هـ

جعفر مرتضى العاملي

## الصفحة 12

## الصفحة 13

### بداية وتوطئة:

لقد ورد إلينا سؤال عن مشروعية جرح الرأس، وإيذاء الجسد باللطم، وبضوب السلاسل على الظهور، ونحو ذلك مما يجري في مراسم عاشوراء، حيث إن البعض يصّر على الإعلان بتحريمه، مدعياً أنه من الضرر الحرام، ثم هو لم يزل يرمي من يفعل ذلك بالجهل والتخلف. مع مزيد من الإصرار على التشنيع على ما يجري في موسم

عاشوراء، بأسلوب مرّ وكريه، وشوس، يخترن في طياته خلجات وانفعالات متراكمة، تفرح منها روائح الحقد الكريه، الذي رُيد التنفيس عنه بهذه الطريقة.

ومهما يكن الحال، فإن هذا الأمر يحتاج في إيضاح وجه الحق فيه إلى جهات من البحث والبيان، نوجّهاها في ضمن ما يلي من مطالب:

---

الصفحة 14

---

الصفحة 15

---

الفصل الأول: أدلة الحرمة، وما فيها

---

الصفحة 16

---

الصفحة 17

توطئة:

إن من المعروف: أن الأمور كلها على الإباحة ما لم يرد الدليل الدال على أن للمورد حكماً خاصاً به. وعلى هذا الأساس نقول: إن من يدّعي حرمة هذا اللطم المؤلم، أو ضرب السلاسل، وجرح الرؤوس، فعليه أن يأتي بالدليل، لننظر فيه. وقد أورد القائلون بالتحريم، أدلة على مدّعاهم، هي:

أدلة القائلين بالحرمة:

استدل القائلون بحرمة جرح الرؤوس، بالأدلة التالية:

الدليل الأول على التحريم:

النواهي الشرعية عن إلقاء النفس في التهلكة. وعمدة أدلتهم على ذلك (1) هو الآية الشريفة: **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...** (2).

(1) قد ذكر هذه الأدلة الشيخ الأنصاري (رحمه الله) في فوائد الأصول ج1 ص176 ط مؤسسة النعمان . بيروت سنة 1411 هـ.

(2) سورة البقرة 195.

## الصفحة 18

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: **...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (1).

وبقوله تعالى: **...وَيُحَرِّكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ...** (2)، ونحو ذلك..

## المناقشة:

أولاً:

إنه ليس في اللطم العنيف، ووجح الرأس، وضرب السلاسل هلاك، ليقال: إنه إذا لطم أو وجح رأسه، فإنه يلقي بنفسه إلى التهلكة.

ثانياً:

إنه لو سلم أن ذلك قد يحصل، فإن الحوام منه يكون خصوص ما يؤدي إلى ذلك، أو خيف أن يؤدي إليه. أو احتمال ذلك احتمالاً يعتدّ به العقلاء، ويقفون عنده ولا يتجاوزونه، وإلا لزم تحريم ركوب الدابة، والسيولة، والقطار، والطاوة، فإن احتمالات الهلاك فيها أكثر من اللطم المؤلم، وضرب السلاسل، ووجح الرأس.



ثالثاً:

إن قوله تعالى: **(..وَلَا تَلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتِهْلَكة...)(3)** ، ناظر إلى التهلكة في الآخرة، لأنها تتحدث عن الإنفاق في أمر الجهاد، وأن الامتناع عن هذا الإنفاق يعرّض الإنسان لعقاب الله سبحانه، وللهلاك في الآخرة.

رابعاً:

وأما سائر الآيات التي ذكرها دليلاً فهي لا تدل على ذلك، إذ هي ناظرة إلى العذاب الإلهي في الآخرة، كما يظهر لمن يرجع إليها.

فإن الله سبحانه حين يحذر الناس نفسه، إنما يحذوهم من العذاب

---

( 1 ) سورة النور / 63.

( 2 ) سورة آل عمران / 28.

( 3 ) سورة البقرة / 195.

---

### الصفحة 19

الذي يواجههم به في الآخرة.

كما أنه قد حوّم من الفتنة من جهة، ومن العذاب الأليم من جهة أخرى، والعذاب الأليم إنما هو في الآخرة، وأما الفتنة فليست هي الهلاك والموت، وذلك ظاهر.

**الدليل الثاني على التحريم:**

إن ضرب الرؤوس بالسيوف، والظهور بالسلاسل، ونحو ذلك فيه توهين للمذهب، ومن موجبات السخرية

والاستهزاء به.

## مناقشة هذا الدليل:

ونقول: إن هذا الدليل غير مقبول لأكثر من جهة وسبب.

أولاً:

إنه لا يدل على الحرمة الذاتية للوجع، والضرب بالسلاسل واللطم، بمعنى أن الضرب والوجع لو خلّي وطبعه فهو حرام. بل هو على ضد ذلك أدل وأظهر، لأنه يعتبر أن الحرمة إنما نشأت من عنوان عرض على الضرب، واللطم المؤلم ووجع الرأس، هو وهن المذهب، وإيجاب السخرية.

فمعنى ذلك: أن الضرب نفسه لو أُوجب عز المذهب، لكان راجحاً ومطلوباً شوعاً، فأين هي الحرمة الذاتية لنفس الضرب، واللطم، والوجع؟!.

أليس هذا ظاهر الدلالة على أن نفس الفعل، لا اقتضاء فيه لشيء، ولكن التحريم قد كان بسبب الوجع، والاعتبارات العرضية عليه.

## الصفحة 20

ولسنا نناقش في هذا الأمر، بل هذا هو ما أفتى به فقهاؤنا، وليس هو محل الكلام، بل هو رجوع منه عن مدعاه.

ثانياً:

إن وظيفة الفقيه هي أن يخبر عن الحكم الشرعي، على سبيل الاشتراط والتعليق، فيقول: إن لزم من هذا الفعل توهين المذهب، فحكمه كذا.

والمكلف هو الذي يتولى تطبيق هذا الحكم على مورده، حين يرى أنه قد تعنون بذلك العنوان.

فإن كان العنوان هو توهين للمذهب فعلاً، فإن عليه أن يلتزم بحكم التوهين، وإن كان هو الإغواز للمذهب، فإنه يؤدي واجبه في فعل ما فيه هذا الإغواز.

وإذ رأى الفقيه أن المورد قد تعنون بعنوان التوهين للمذهب، فإن رؤيته هذه لا تلزم الآخرين في شيء، بل يكون في ذلك كواحد من الناس، يطبق لنفسه، وقد يخطئ في التطبيق، وقد يصيب. وليس لصفة الاجتهاد أثر في تطبيقه

هذا، ولا هي توجب مزة له.

إلا إذا كان هذا الفقيه حاكماً، ورأى أن ثمة مصلحة للإسلام في المنع عنه، وأصدر حكماً ولائياً. لا مجرد قوى . فإنه يطاع في هذه الحالة.

ولكن ذلك لا يصوّه حراماً ذاتاً، ولا قبيحاً عقلاً. بل تبقى حرمة تابعة للعنوان العرضة له.

ثالثاً:

إننا إذا أردنا مجرأة بعض الناس في الحديث عن التطبيقات الخرجية، باعتبارنا من أفاد هذا المجتمع، فإننا

نقول:

إن دعوى لزوم التوهين قد تكون صحيحة في بعض المواطن، لا

## الصفحة 21

في جميعها، فلا تُقبل دعوى ذلك في جميع المواطن. خصوصاً في بلاد شيعة أهل البيت (عليهم السلام). فإنه لا يلزم التوهين في قم المقدسة مثلاً. بل يلزم من ذلك تقوية الدين وعزته.

وسياتي المزيد من توضيح هذه النقطة إن شاء الله تعالى.

## الدليل الثالث على التحريم:

إن ضرب الرؤوس، واللطم المؤلم، وضرب السلاسل، فيه إيذاء للنفس، وإضرار بها، وهو محرم عقلاً وشوعاً.

مناقشة هذا الدليل:

ونقول: إن هذا الدليل لا يمكن قبوله، وذلك للأمور التالية:

أولاً:

إن من الواضح: أن جرح ولطم الإنسان نفسه وإيلاهما، ليس من قبيل الظلم القبيح ذاتاً، والحرام شوعاً. إذ لو كان

كذلك لم يجر الحكم باستحباب الجرح في بعض المولد، كالحجامة، والختان، وثقب أذن المولود.

ولم يجر نطق شعر الحاجبين للمرأة، وغير ذلك مما ورد في الروايات.

فإن الحرام والقبيح لا يصير مستحباً.

وتجوز ارتكابه في مورد التواحم لا يغيره عن صفة القبح والحرمّة الواقعية.

كما أنه لو كان ضرراً حراماً، أو كان قبيحاً عقلاً، كالتظلم، لم يجر الإقدام عليه، في مورد المعالجة، خصوصاً

في الأمور التي هي غير ذات

## الصفحة 22

أهمية، كعمليات التجميل، وإزالة البثور عن الجلد. ونحو ذلك.

بل إن بعض أنواع هذا الجرح، ومستوياته، ليس فيه اقتضاء القبح، فليس هو من قبيل الكذب الذي إن لم يطرأ

عليه عنوان حسن، فإنه يبقى على صفة القبح الذي تقتضيه طبيعته.

بل هو خاضع في حسنه وقبحه للعناوين الطرئة عليه، فقد يحسن، وقد يقبح، وقد يرحح، وقد يكون مروجحاً. كما

سيوضح.

وستأتي شواهد ذلك إن شاء الله تعالى.

ثانياً:

إن جعل اللطم، والجرح من مصاديق الضرر غير ظاهر الوجه، فإن للألم مراتب، ولا شك في أن بعض مراتب

الألم ليست ضرراً.

بل إن بعض مراتب ومولد الجرح أيضاً، ليست ضرراً فالتعميم على سبيل ضوب القاعدة، والقول بأن الضرر

حرام بقول مطلق، في غير محله.

ثالثاً:

ما هو الدليل على حرمة الضرر والإيذاء، فإن كان الدليل على حرمة الضرر، هو حكم العقل بوجوب دفع ما يقطع بأن فيه مضرة على الإنسان. بل حكمه بوجوب دفع الضرر المظنون، بل والمحتمل أيضاً. فهو أيضاً لا يمكن القبول به، ولا الالتفات إليه. كما سيتضح في الفصل التالي:

### الإضرار والإقدام على الضرر:

بداية نقول:

هناك حالتان يختلف الحكم فيها:

### الأولى:

الإضرار بالغير، بأن يتعمد شخص الإضرار بالغير، فهذا لا

### الصفحة 23

شك في حرمة، بأي مستوى كان، إذ إن أي اعتداء على حقوق الناس، أو تعد على حدودهم، مرفوض وممفوع عنه شوعاً. حتى لو كان هذا التعدي للحدود بمثل غمز جسد الطرف الآخر، أو الجلوس على فاشه، أو التصرف في آنيته، بدون إذنه، فكيف بما هو أشد من ذلك. كضوبه، أو جرحه.

غير أن الشروع قد أذن ببعض التصرفات المترتبة بالغير، منها ما يصل إلى حد الجرح، مثل الختان، وثقب أذن المولود. بل هو قد أذن أو لوجب القتل أيضاً. كما في حالات الجهاد، والقصاص، ونحو ذلك.

### الثانية:

الإضرار بالنفس، بأن يفعل الإنسان بنفسه ما يؤلمها، ويؤذيها، أو يدخل النقص عليها، ولهذا الضرر والأذى حالات ومراتب.

فإن كان مجرد أذى وألم، فإنه ليس من الأمور التي يحكم العقل بقبحها، كما أنه لا دليل على حرمة شوعاً. بل لقد صوح الشروع للإنسان بإيلاام بل بجرح نفسه في مورد كثرة. وستأتي أمثلة ذلك.

وهذا يكشف عن أن مجرد الألم ليس ضرراً على الحقيقة، أو أنه ليس ضرراً في أكثر مولده، وأن إطلاق

الضرر عليه، فيه مسامحة. وحتى لو كان ضرراً على الحقيقة، فإنه ليس حراماً شريعاً، ولا قبيحاً عقلاً. نعم، لو كان الضرر ليس مجرد ألم أو جرح، بل هو بمستوى قطع الأعضاء أو التسبب ببعض الأمراض الصعبة، فذلك مما لم يأذن الشروع به. إلا في مورد معينة كما سئى. وبعد ما تقدم نقول:

## الصفحة 24

### العقلاء واحتمالات الضرر:

إننا حين زاقب السلوك العام للعقلاء، وهم يواجهون المخاطر، بهدف أن نتلمس ما فيه توقع، يفيد في إعطاء صورة عن جهات البحث ومورده، فإننا نقول:

إن العقلاء يقدمون على الكثير من المورد التي يحتمل فيها الهلاك، ومنها ما هو من سنن الحياة فيهم، التي ليس فقط لم يمنع عنها الشروع، بل هو قد حث عليها، وعمل على تنظيمها، والحفاظ على استمرها، مثل:

إقدام النساء على الحمل، مع وجود احتمال حصول الموت حال الولادة، وقد حصل ذلك بالفعل كثراً، وقد اعتبر الشروع من تموت حال الولادة بمثابة شهيدة..

وفي سياق آخر، فإن العقلاء يملسون ركوب القطرات، والطائرات، والسيارات، والصعود إلى مواضع خطيرة في الأشجار الباسقة، أو الأبنية الشاهقة، لمعالجة الأعمال فيها، وفي ذلك ما فيه من تعويض للنفس إلى المهالك، وقد حصل ذلك بالفعل، فهلكت أنفس كثيرة، ولم يمتنع العقلاء عن تلك الأمور، كما لم يمنعهم الشروع عنها أيضاً. بل إن بعض الناس يعطي إحدى كليتيه لمريض آخر يعز عليه. أو في مقابل مال يحتاج إليه.

وهذا يدل على أن احتمال الضرر. ولو كان هذا الضرر هو الهلاك. لا يوجب امتناع العقلاء عن السعي نحو أهدافهم، فكيف إذا كان هذا الضرر، مجرد جرح، لا يلبث أن يندمل، أو ألم لا يلبث أن يزول. فلو كان ذلك مما تمنعه العقول، لتوقفت كثير من الأعمال، ولفشلت كثير من الخطط.

## الصفحة 25

وهذا يدل على أن ثمة حيثيات أخرى تدخل في حسابات العقلاء، في إقدامهم وإحجامهم، حيث يكون للمنافع والمضار، وللعناوين العامة، وغير ذلك نور في القبول وأثر في الرفض، وأثر في الإقدام والإحجام.

### العقلاء والضرر المحتم:

بل إننا نشاهد في هذه العقود المتأخرة، فريقاً من الناس يقدمون على أمور فيها الهلاك المحتم لأنفسهم، مثل الإضراب عن الطعام حتى الموت، وذلك من أجل الضغط على حكامهم لتلبية مطالب لهم، معيشية، أو سياسية، أو غيرها. ولا يستقبح ذلك الناس منهم، ولا ينكرونه عليهم، بل هم يعطونهم كل الحق في ذلك. بل أصبح ذلك من الأساليب الشائعة. فلو كان قبيحاً عقلاً لوجب أن يكون الأمر مختلفاً.

### الشرع لا يشوع القبيح:

وواضح: أن الأمور القبيحة عقلاً، لا يمكن أن يشوعها الله سبحانه، ولا أن يأمر أنبياءه بممّستها، فهو تعالى لا يأمر بالظلم، ولا بكفوان النعمة، ولا بالإساءة إلى محسن. وها نحن نجد أن الله تعالى، قد أمر نبيه إواهيم (عليه السلام) بذبح ولده النبي إسماعيل (عليه السلام)، رغم أن مقام النبي إسماعيل (عليه السلام) هو مقام النوة. ولم يطلب النبي إواهيم (عليه السلام) من ربه البيان، ولا اعتوض النبي إسماعيل (عليه السلام)، على أبيه، بأن هذا الذي تريد أن تفعله

### الصفحة 26

قبيح شوعاً، فكيف تقدم عليه، وكيف يمكن أن يأمر الله تعالى به.

### قاعدة وجوب دفع الضرر:

وعلى كل حال، فإن القدر المتيقن هو وجوب دفع الضرر، في صورة ما إذا كان الضرر كبيراً يصل إلى حدّ التسبب بالهلاك، أو الابتلاء بمرض صعب، دون أن يكون في مقابل ذلك ما هو أهم وأعظم. من المصالح

والقضايا التي تحتم عليهم التضحية والإقدام.

وذلك موضع إجماع، كما ذكره علماءنا قدس الله أسرارهم (1). ويمكن القبول بأن مقتضي الحرمة موجود، كالحفاظ على النوع الإنساني، أو نحو ذلك. إلا إذا زوحم بمقتضي آخر أقوى منه، فالتأثير يكون للأقوى. ولكن الضرر الذي هو نون ذلك، كالجرح اليسير الذي لا يؤدي إلى إتلاف عضو، والمرض اليسير كأوكام ونحوه، فقد يقال: إن العقل لا يحكم بلزوم دفعه، وليس فيه اقتضاء لشيء بعينه، بل الأمر تابع فيه للعنوين والحالات الطرئة. في كل مورد بخصوصه.

### للتوضيح فقط:

ولمزيد من التوضيح لمراتب الضرر وحالاته، نقول:

1. إن هناك ما هو قبيح ذاتاً، فلا يمكن أن يكون حسناً، مهما طرأ عليه من أحوال. وذلك مثل الظلم، ومجراة الإحسان بالإساءة، وهناك ما هو حسن كذلك كالعدل وشكر المنعم. فإن الظلم قبيح في جميع

(1) راجع: الجواهر ج5 ص104 و105.

## الصفحة 27

الأحوال، بمجرد وجوده وتحقق عنوانه. والعدل حسن كذلك. ويستحيل أن يكون الظلم حسناً، والعدل قبيحاً.

وجرح النفس واللطم ليس من هذا القبيل حتماً وجزماً، فقد يكون الجرح حسناً ومحبوباً للشوع، كالحجامة ونحوها.

2. هناك ما فيه اقتضاء القبح، بمعنى أنه لو خلي وطبعه، لكان على ما هو عليه من الاقتضاء المؤثر. إلا إذا زاحمه مقتضى آخر، كأن طرأ عليه عنوان يحبه الشوع، فإنه يصوره بذلك حسناً، وذلك كالكذب، فإنه إذا طرأ عليه عنوان نجاة نبي من القتل مثلاً، فإن اقتضاه للحرمة يزول، ويحل محله اقتضاء آخر، فيصير نفس الإخبار



بخلاف الواقع حسناً وواجباً.

وكذلك الحال بالنسبة إلى ما يكون فيه اقتضاء الحسن، كالصدق مثلاً. فقد يصبح حواماً، كالمثال المذكور آنفاً. وقتل النفس من هذا القبيل، فإنه ليس قبيحاً ذاتاً. إذ لو كان كذلك لم يصح الأمر به على سبيل العقوبة، أو القصاص، ولم يصح أمر الله سبحانه نبيه إبراهيم (عليه السلام). فإن القبيح ذاتاً لا يمكن أن يصبح حسناً أصلاً، تماماً كما هو الحال في الظلم مثلاً، فإنه كلما وجد، يوجد على صفة القبح، وحين يزول عنه القبح، فإنه لا يعود ظلماً، بل يصير عدلاً، أو إحساناً.

وقطع الأعضاء أيضاً كذلك، فإن فيه اقتضاء القبح، ولكن إذا توقف العلاج على قطعها، أصبح ذلك سائغاً، وربما لإرماً، وواجباً أيضاً.

3. وهناك ما لا اقتضاء فيه لحسن ولا لقبح، بل هو في ذلك تابع للعناوين التي تطرأ عليه، وذلك مثل القيام، الذي قد يكون مبغوضاً حواماً، كما إذا كان تعظيماً لفاجر، وقد يكون راجحاً محبوباً كما إذا كان تعظيماً لمؤمن.



## الصفحة 28

وبعدما تقدم نقول:

قد يقال: إن ما يفعله الناس في حياتهم العادية، مما يسبب لهم تعباً، ونصباً، كقلع الصخور، وحمل الأثقال، والعمل في الحقول حتى تجرح آلات العمل أيديهم، وتلفح الشمس وجوههم، وكذا ما يدخل في سياق أهدافهم العقلانية مثل: ثقب الأنوف والآذان، لتعليق الخواتم، والأقراط، وكذلك الختان، ونتف النساء لشعر الحاجبين، أو نتف شعر الأنف والإبطين. وكذلك الوشم، وغير ذلك، إن ذلك كله.

قد يقال: إنه من هذا القسم الأخير، مع أنه يتضمن جرحاً، ووجعاً بالأبر، وألماً. فإن تعلق غرضهم بهذا الأمر، هو الذي جعل الإقدام عليه راجحاً بنظرهم، إذ أنهم لا يفعلون ذلك من أجل العبث واللغو. وليس ترك بعضهم لمثل هذه الأعمال، لأجل أن عقولهم قد منعتهم، من حيث إنها تحكم بقبحها ذاتاً، وإنما استتقالاتهم للألم، وإيثاراً للراحة، وحباً بها، أو لعدم ميلهم إلى تلك الأمور، لأنهم لا يرون لها قيمة تذكر. وفيما بين هذين الحدين: أعني قتل النفس من جهة، ونتف الشعر أو الوشم وثقب الأذن من جهة أخرى. مراتب بعضها أشد من بعض، ومنها المرض اليسير كإذكام، الذي حكم كثير من الفقهاء (1) بأنه لا يسوغ الانتقال من الوضوء إلى التيمم.

(1) جواهر الكلام ج5 ص105 عن المعبر، والمبسوط، وظاهر تحرير الأحكام، والشوايع بل في المبسوط نفي الخلاف عنه وعن الخلاف والمنتهى: بل ربما استظهر الإجماع عليه. والموجود فيهما المرض لا يخاف منه التلف، ولا الزيادة فيه وذهب إليه صاحب الجواهر أيضاً.

## الصفحة 29

ومن هذه المراتب، ما ورد عن الشلوع الأمر به استحباباً، أو طلباً لتأكيد حالة الصحة والسلامة البدنية، مثل ما

ورد من الحث على الحجامّة، أو الأمر بالفصاد، والختان، وثقب الأذن، ونحو ذلك مما فيه جرح وإدماء (1).

وجرح الرؤوس في مواسم عاشوراء، وكذلك ضرب السلاسل، فضلاً عن اللطم، ليس بأشد من أمر الحجامّة، فضلاً عما هو أعظم منها كما سؤى. فكيف يدعى أن ذلك حرام ذاتاً، أو قبيح عقلاً، وأنه من الضرر الواجب دفعه؟! إن هذه الدعوى فيها الكثير من المجزفة. خصوصاً إذا لاحظنا أنه لا يترتب على هذه الأفعال، لا هلاك، ولا مرض، بحسب العادة.

وفي مختلف الأحوال. فإن ذلك كله إذا تعنون بعنوان راجح: واجب أو مستحب، فإنه يأخذ حكم ذلك العنوان. وإذا تعنون بما هو مبعوض ومجروح، فكذلك.

### الأدلة السمعية على حرمة الضرر

هذا كله لو كان الدليل على حرمة الضرر المحتمل أو المظنون، أو المقطوع به، هو العقل، أما لو كان الدليل عليه هو الأدلة السمعية، فنقول:

إنه ليس ثمة من دليل سمعي، قادر على إثبات أن الإضرار بالنفس، وإيذاءها محرم بجميع مراتبه، بل إن ذلك لم يقل به أحد ممن يعتد

(1) ويلاحظ أن الشروع الحكيم، الذي شوع أحكاماً تقوم على أساس الرفق والرحمة بالحيوان، والمنع من التعدي عليه وأذاه. قد شوع أيضاً لزوم شق سنام الإبل حين الإحرام، وفي بعض الروايات أن ذلك بمقتلة التلبية، مع أن ذلك فيه بعض الأذى لذلك الحيوان.

### الصفحة 30

بقوله من العلماء. فالقدر المتيقن من الإيذاء المحرم، هو ما يؤدي إلى الهلاك، أو ما كان ضرراً بالغاً، يصل إلى حد قطع عضو، أو التسبب بحدوث موض عضال.

ولم يوروا أدلة سمعية على ذلك سوى ما ذكرناه، من الاستناد إلى قوله تعالى: (..وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ

**(التهلئة...)** ، وقد ذكرنا فيما تقدم: أنها إنما تنهى عن الهلاك الأخرى الذي هو التعرض لغضب الله عز وجل، بسبب عدم امتثال وأمره في الإنفاق في الجهاد. فالتهلئة في الآية هي الأخرى. وهناك إشكالات أخرى على استدلالهم بهذه الآية تقدمت، فلا حاجة لإعادتها.

واستدلوا له أيضاً بقوله تعالى: **(..وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (1)** . حيث دل على حرمة قتل النفس، ولا سيما بملاحظة الآية التالية لها، وهي قوله تعالى: **(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عِوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ تَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)**.

ولكن في دلالة هذه الآية أيضاً مناقشات. لكن الذي يهون الخطب، هو: أن حرمة أن يقتل الإنسان نفسه، مما لا ريب فيها، ولا شبهة تعويها، حتى إنها قد تلحق بالضروريات.

فلا حاجة إلى إقامة الأدلة على ذلك، ولا ضرورة للنقض والإرام فيها.

وأما ما دون القتل من مراتب الأذى، فلا يمكن الحكم بحرمة بصورة قاطعة، بل لا شك في جواز بعض مراتبه كما ظهر مما تقدم، وسيزيد وضوح ذلك فيما يأتي أيضاً.

---

( 1 ) سورة النساء 29 . 30.

---

الصفحة 31

الفصل الثاني: الضرر والهلاك في النصوص والآثار

---

الصفحة 32

---

الصفحة 33

## ما يؤدي إلى نقصٍ أو هلاك. في النصوص والآثار.

قد أشرنا في المطالب المتقدمة، إلى كثير مما يفيد في استفادة حكم إلحاق الإنسان بنفسه الأذى والألم، وحتى

الروح.

ونقول هنا:

إن هذا الذي ذكرناه توضحه نصوص كثيرة، تفوق حد التواتر، وهي على درجة كبيرة من التوع، في سياقاتها، وفي مضامينها، كلها تدل على أن الضرر ذو مراتب، وعلى أن ما كان من مراتبه محكوماً بالحرمة، فليس لأجل أن حرمة ذاتية، أو لأنه قبيح عقلاً، بل هو تابع في ذلك لما يعرض له من عناوين، وأنه قد تعرض عليه عناوين مختلفة الأحكام، فمنها ما هو حرام، ومنها ما هو واجب، ومنها المستحب والمكروه، والمباح.

بل قد قلنا: إنه حتى قتل النفس، ليس حراماً ذاتاً، وإنما الميزان هو ما يطرأ عليه من عناوين. ولذلك أمر الله

تعالى نبيه إواهيم (عليه السلام) بذبح ولده. كما أن الشلوع قد لوجب هذا القتل، كما في صورة القصاص، وكما

في قوله تعالى، مخاطباً بني إسرائيل:

### الصفحة 34

(...فَتُوبُوا إِلَىٰ بَرِّكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ...)(١).

وعلى كل حال، فإن ثمة نصوصاً كثيرة قد تحدثت عن حكم ما فيه أذى وروح، قد يصل إلى حد إتلاف بعض

الأعضاء، أو فوق ذلك، أو بونه. كما سنرى وهناك نصوص تحدثت أيضاً عما فيه خوف ضرر ترة، وعما فيه

خوف هلاك أخرى.

وهي نصوص تضمنت أقوالاً، وأفعالاً، للأئمة أنفسهم (عليهم السلام) ترة، وفي حضورهم أخرى.

وفي تلك النصوص الحديث المرسل والمسند، وفيها الصحاح والحسان، وغير ذلك.

وكلها تؤكد حقيقة واحدة، وتشير على أمر فرد، وهو أن جميع ذلك ليس قبيحاً عقلاً، وأن في بعضه اقتضاء

للجب، قد يزيله ويحل محله مقتضٍ آخر، وقد يبقى على حاله. وبعضه لا دليل على وجود اقتضاء ذلك فيه أصلاً.

وكلا الصنفين يكون خاضعاً في مولده للعناوين الطرئة، وتابعاً في أحكامه، لوجه والاعتبارات المختلفة. فإذا كان جرح الرأس، واللطم وغير ذلك من مولد ومصاديق إحياء أمرهم (عليهم السلام)، الذي ورد الأمر به عنهم، ومنهم (عليهم السلام) فإن ذلك الضرب والجرح والألم يصبح من الأمور المحبوبة والمطلوبة لله تعالى. بل لقد صدر عن الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، أو بحضورهم كما

( 1 ) سورة البقرة 54.

### الصفحة 35

نطقت به النصوص والآثار الآتية، ما هو أعظم من اللطم، أو جرح الرأس:

وكفى شاهداً على ذلك ما فعله النبي يعقوب بنفسه (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) حين بكى على ولده، حتى ابيضت عيناه من الحزن. وكاد أن يهلك كما قال له أبنؤه.

وقال له أبنؤه: **(قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يٰٓوَسْفُ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) (1).**

وهذا خير دليل على أن فعل ما يؤدي إلى العمى أو إلى الهلاك، ليس قبيحاً عقلاً، ولا هو حرام ذاتاً، بل هو تابع للعناوين التي تعرّض له، أو توجب المصير إليه.

فإلى ما يلي من نصوص وآثار تظهر هذه الحقيقة وتؤكدّها. وسوف نحاول أن نتجنب قدر الإمكان ما يرتبط بمراسم عاشوراء، فنقول:

### المعصوم واحتمال الضرر الكبير والهلاك:

إننا إذا انتقلنا إلى عالم النصوص الواردة عن النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم) أجمعين، فسوف يكون أمامنا مولد كثرة تدخل في هذا السياق، وتشير إلى هذا الاتجاه، فهناك مولد أوجبها الشوع، أو ملرسها أهل الشوع، برأى وبمسمع من المعصوم، رغم أنها قد كان فيها احتمال الهلاك ملموساً وظاهراً. أو كان

فيها الضرر البالغ محققاً ترة، ومظنوناً، أو محتملاً أخرى.

( 1 ) سورة يوسف، الآية 84.

### الصفحة 36

ونذكر من ذلك ما يلي:

1 . الكليني: عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن جعفر بن عبد الله العلوي، وأحمد بن محمد الكوفي، عن علي بن العباس، عن إسماعيل بن إسحاق، جميعاً عن أبي روح فوج بن قرة، عن مسعدة بن صدقة، قال حدثني ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:  
(أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة))، إلى أن قال:

(وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها، وقلبها، وقلاندها، ورعاثها، ما تمنع (تمتنع خ.ل.) منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق له (لهم خ.ل) دم. فلو أن امرأة مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي به (به عندي خ.ل) جدواً)) (1).

فهو (عليه السلام) لا يلوم من يموت من المسلمين أسفاً لأجل سلب امرأة كافرة حجلها، وقلبها، ورعاثها، رغم أنه ليس هو مسؤولاً عن

( 1 ) الكافي ج 5 ص 4 ونهج البلاغة، الخطبة رقم 27 والبيان والتبيين ج 2 ص 54 والكامل للمود ج 1 ص 20 والعقد الفريد ج 4 ص 66 ومصادر نهج البلاغة ج 1 ص 397.395 عنهم والأخبار الطوال ص 211 وأنساب الأشراف ط الأعلمي ص 442 ومعاني الأخبار ص 309 والأغاني ج 15 ص 45 والغوات 476 ووسائل الشيعة

وعن التهذيب للطوسي ج 2 ص 416 ط أمير بهادر والبحار ط حجرية ج 8 ص 699 و 700.

### الصفحة 37

حمايتها، لأنها معاهدة لمدة على متركة الحرب، حتى إذا انقضت تلك المدة، فربما تعود إلى حرب المسلمين، وإلى السعي في أذاهم وقتلهم.

بل إنه (عليه السلام) يرى أن من يموت أسفاً لهذا الأمر جديرٌ بذلك. رغم أن ما جرى لهذه الكافرة المعاهدة هو مجرد سلب حليها منها، دون أن تتعرض لضرب، ولا لهتك، ولا لأسر، ولا لقتل.

فإذا كان الموت أسفاً على سلب امرأة كافرة غير موجب للوم، بل هو مما يجدر بالإنسان المسلم أن يوصله أسفه إليه، فالموت حزناً على الحسين (عليه السلام)، وأسفاً لما جرى عليه، وعلى أصحابه لا يوجب اللوم، بل يكون في محله. والموت في هذه الصورة، لا يكون قبيحاً عقلاً، ولا حراماً ذاتاً، بل هو قد أخذ مشروعيته من هذا

العنوان العريض عليه، فما بالك بالطم المؤلم، أو جرح الإنسان الرأس، الذي لا يؤثر على حياة الإنسان بشيء؟!!

2 . قد أوجب الله تعالى جهاد العدو أو أجزه . ونقصد به الجهاد الابتدائي، لا الدفاعي . مع ما في هذا الجهاد من احتمال القتل، أو قطع بعض الأعضاء، أو الجرح . فلو كان القتل حراماً ذاتاً، فإنه يجب التحرز عن كل ما يؤدي أو يحتمل أن يؤدي إليه . ويكون كالظلم، الذي لا يمكن أن يكون حلالاً في أي وقت من الأوقات، فضلاً عن أن يكون واجباً.

3 . قد أمر الله سبحانه بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم، فقال: **وَإِذِ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**

**بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ فَتُوبُوا إِلَى بُلُوكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ**

### الصفحة 38

إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُّ الرَّحِيمُ(1).

وقال تعالى: **(وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ...)(2)** . فلو كان القتل قبيحاً



ذاتاً، لم يأمرهم الله سبحانه به.

4. وقد قال الله تعالى لنبيه: (...فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ...)(3).

وقال: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسُكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)(4).

وقال تعالى: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسُكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)(5) فهو (صلى الله عليه وآله) يعرض نفسه لأمر صعبة،

تصل به إلى حد الهلاك، من أجل أناس يعلنون الحرب عليه، ويقتلون نبيه وأصحابه، ويفتكون حتى بمثل عمه

حزوة، وعبيدة بن الحرث، وغيرهما ولو قدروا على قتله هو أيضاً، لاعتبروا ذلك من أعظم الأعياد عندهم.

مع أن بإمكانه (صلى الله عليه وآله) أن لا يهتم لهذا الأمر.

وهذا يشير إلى أن هذا المستوى من التعامل مع القضايا، أمر مسوح به، بل هو راجح، يستحق عليه رسول الله

(صلى الله عليه وآله) هذه التسليّة الإلهية، ولا يمكن أن يكون ما يفعله الرسول (صلى الله عليه وآله) من مورد

(1) سورة البقرة / 57.

(2) سورة النساء / 66.

(3) سورة فاطر / 8.

(4) سورة الكهف / 6.

(5) سورة الشعراء / 3.

### الصفحة 39

القبح العقلي، ولا هو محرم ذاتاً في أي حال من الأحوال.

وبعد هذا، أفلا يحق لنا نحن أن نأسف إلى حد الموت لقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، أو إلى حد إلحاق بعض

الأذى والألم بأجسادنا؟.

5 . قد تقدم أن الله تعالى قد أمر النبي إواهيم (عليه السلام) بذبح ولده. وقد أطاعه ولده في هذا الأمر. فهل يصح: أن يقال: إن الله تعالى، قد أمره بما هو قبيح عقلاً، وحرام ذاتاً؟!

6 . رواية الفوار من الطاعون:

وقد أظهرت الروايات أيضاً: أن الفوار من الطاعون ليس واجباً، بل هو رخصة. وذلك معناه: أنه لا حرمة ذاتية، ولا قبح عقلياً، في البقاء في محيط الطاعون، إذا كان هناك ما هو أهم منه.

فعن علي بن إواهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الوباء يكون في ناحية مصر، فيتحول الرجل إلى ناحية أخرى، أو يكون في مصر فيخرج منه إلى غيره؟!

فقال: ((لا بأس، إنما نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذلك لمكان ربيّة (1) كانت بحيال العدو، فوقع فيهم الوباء، فهربوا منه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الفارّ منه كالفارّ من الوحف، كراهية أن تخلو مواكهم)) (2).

(1) الربية والربيّة: العين على العدو، ولا يكون إلا على جبل، أو شوف..

(2) الكافي ج 8 ص 93 ط مطبعة النجف . النجف الأشرف / الواق . والوسائل ط مؤسسة آل البيت ج 2 ص 429 و 430.

الصفحة 40

وقريب من ذلك: ما رواه الصنوق عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن فضالة، عن أبان الأحمر، عن أبي عبد الله (عليه السلام).

وثمة روايات أخرى بهذا المضمون أيضاً، فراجع (1).

ففي هذه الرواية:

أولاً: إنه (عليه السلام) لم يحتم على ذلك السائل التحول والابتعاد عن موضع الخطر، بل قال له: لا بأس.

إلا أن يقال: إن كلمة (لا بأس) قد وردت في مورد توهم الحظر، فهي تدل على عدم حرمة الفوار من الطاعون في الحالات العادية، وأما أنه واجب أو راجح أو مباح، فإنه (عليه السلام)، لم يكن بصدد بيان ذلك. ثانياً: إنه (عليه السلام) قد أوضح أن النبي قد حتم على ربيّة أن لا تهوب من الطاعون، لكي لا تخلو تلك العوازل منهم. واعتبر ذلك كالقوار من الزحف. والمواد بالبيئة، الكمين العواقب، والواصد للعدو. وذلك معناه: أن دفع الضرر النوعي، مقدم على دفع وتحاشي الضرر الشخصي. فلا بد من دفع الأول، ولو بقيمة تعويض النفس للثاني.

فلا يصح قولهم: إن فعل ما فيه ضرر، قبيح بحكم العقل؟!.. وحرام بذاته شوعاً.

أليس هذا يدل على أن القبح ليس ذاتياً، وإنما الأمر موهون

(1) معاني الأخبار ص 254 والوسائل ط مؤسسة آل البيت ج 2 ص 430 و 431 وفي هامشه عن علل الشوائع ج 2 ص 520 ومسائل علي بن جعفر ص 117.

#### الصفحة 41

بالعناوين العريضة، فقد تكون من موجبات التحريم، وقد يزول ذلك الموجب، ويحل محله ما يجعله راجحاً، بل واجباً.

#### أفعل حتى لو مرضت:

7 .ومما يدل على عدم الحرمة الذاتية، وعدم القبح العقلي، لما يعتوه الناس ضرراً، ما دلّ على لزوم القيام ببعض الأعمال، التي فيها أذى، لا يرضى الناس بتعريض أنفسهم إليه في الظروف العادية. ونذكر من ذلك:

أ : ما رواه الشيخ عن محمد بن علي، عن محمد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، وأحمد بن إرييس، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد، وحماد بن

عيسى، عن شعيب، عن أبي بصير. وفضالة عن حسين بن عثمان، عن ابن مسكان، عن عبد الله بن سلميان، جميعاً عن أبي عبد الله (عليه السلام): أنه سئل عن رجل كان في أرض بردة، فتخوّف إن هو اغتسل أن يصيبه عنت من الغسل، كيف يصنع؟.

قال: ((يغتسل، وإن أصابه ما أصابه)) (1).

ب: وبهذا الإسناد، عن حماد، وعن حريز، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل تصيبه الجنابة في أرض

(1) تهذيب الأحكام ج 1 ص 198 والاستبصار ج 1 ص 162 وسائل الشيعة ط مؤسسة آل البيت ج 3 ص 374.

## الصفحة 42

بردّة، ولا يجد الماء، وعسى أن يكون الماء جامداً؟ فقال: ((يغتسل على ما كان)).

حدثه رجل: أنه فعل ذلك، فموض شهراً من البرد، فقال: ((اغتسل على ما كان، فإنه لا بد من الغسل)) (1). ولعل مورد هذه الرواية هو تعمد الجنابة، بعد دخول الوقت، ومع علمه بوجود البرد، أو بفقدان الماء. فرأد (عليه السلام): أنه غير معذور فيما أقدم عليه، من حيث إن فيه تضييعاً متعمداً للصلاة المفروضة، فجاء هذا الحكم في حقه، على سبيل العقوبة له.

فقد حتم عليه أن يغتسل، ويتحمل آثار ما أقدم عليه.

فلو كان هذا الإقدام على الضرر قبيحاً عقلاً، وحواماً ذاتاً، لم يكن معنى لتجوّزه، فضلاً عن الأمر به على نحو الإلزام.

ذبح إواهيم (عليه السلام) لولده:

8. وقد ذكرنا في الفصل السابق أن الله سبحانه قد أمر نبيه إواهيم (عليه السلام) بأن يذبح ولده إسماعيل، وقد

أطاع الله في ذلك، وشركه في هذه الطاعة ولده إسماعيل.

## حزن حتى الموت:

9 .ومما له ارتباط بأحداث عاشوراء، نشير إلى مورد واحد فقط،

(1) تهذيب الأحكام ج 1 ص 198 والاستبصار ج 1 ص 163 ووسائل الشيعة ط مؤسسة آل البيت ج 3 ص 374.

## الصفحة 43

هو ما ذكره المؤرخون أيضاً: أن الرواب بنت امرئ القيس بن عدي، زوجة الإمام الحسين (عليه السلام) قد بقيت سنة بعد الحسين (عليه السلام)، (لم يظلمها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً) (1).

ومن المفترض: أن يكون هذا الأمر برأى وبمسمع من الإمام السجاد (عليه السلام)، لاسيما بعد أن طال عليها الأمر، ومضت الأشهر الكثيرة، حتى بليت، وهلكت. فكيف لم ينهها (عليه السلام) عن هذا؟.

ولو أنه نهاها، فلا نظن أنها كانت تعصي له أمراً، ما دامت متغانية في حب أبيه سيد شباب أهل الجنة، وهي لم تكن لتحب الوالد، ثم تعصي أمر ولده وسيد الخلق من بعده، والذي لم تر منه إلا كل خير ورفق ومحبة. فسكوته عنها إمضاء لفعالها، ودليل على أن ذلك الفعل ليس قبيحاً ذاتاً، ولا حراماً شوعاً.

وقد بقيت أمثلة أخرى صريحة في تجويز أو استحباب أو إيجاب أمور فيها احتمالات الهلاك، سنشير إليها في فصل: مراسم عاشوراء، إن شاء الله.

(1) الكامل لابن الأثير ج 4 ص 39 المطوع مع تزيخ القوماني، وسكينة بنت الحسين (عليه السلام) ص 68،

تأليف الدكتورة عائشة بنت الشاطي. ومصادر ذلك كثرة، تجدها في ترجمة الرواب في مختلف كتب التواجم التي

## الصفحة 44

### الجرح قد يجب وقد يستحب:

هذا. وقد ورد ما يدل على استحباب أو وجوب جرح الإنسان نفسه في مورد عديدة. مما يعني أن بعض مورد الجرح لا اقتضاء فيها للحرمة، فضلاً عن أن تكون من مورد الحرمة الذاتية، أو القبح العقلي. ونذكر من هذه المورد ما يلي:

1 . الحجامة، فإنها مستحبة، والروايات فيها كثيرة.

2 . ثقب أذن المولود، فإن ذلك من السنة، فقد روى الكليني بسند صحيح، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن عيسى، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: **((ثقب أذن الغلام من السنة، وختان الغلام من السنة)) (1)**.

وروى علي بن إراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن التهنئة بالولد متى؟

فقال: إنه قال: **((لما ولد الحسن بن علي هبط جبرئيل بالتهنئة))** إلى أن قال: **((ويعق عنه، ويثقب أذنه، وكذلك حين ولد الحسين...)) الخ (2)**.

3 . والختان مستحب أيضاً، ورواياته كثيرة، ومنها صحيحة ابن سنان المتقدمة.

وروى الكليني أيضاً، عن علي بن إراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عن علي (عليهما السلام): **((إذا أسلم))**

(1) الكافي ج 6 ص 36.

(2) الكافي ج 6 ص 34.

## الصفحة 45

الرجل اختتن، ولو بلغ ثمانين)) (1).

وهناك روايات صحيحة أخرى، وردت في الكافي وغوه من كتب الحديث، تدل على استحباب الختان. فلواجبها من أراد.

وقد يجب الختان لأجل الحج.

مع أن الختان حرج للجسد، وفيه ألم وأذى.

4 . خفض النساء: وقد روي عن علي بن إواهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ((خفض النساء مكرومة)) (2).

فالحكم باستحباب ذلك كله، أو بوجوبه، يدل على أنه ليس فقط قبيحاً عقلاً، ولا هو حرام ذاتاً، وإنما يدل على أنه لا اقتضاء فيه للحرمة أصلاً، بل تكون حرمة أو وجوبه بسبب صيرورته مورداً للعنوان الحرام أو الواجب، أو غيره.

وفي غير السياق المتقدم نذكر:

5 . إن الزهراء (عليها السلام) كانت تطحن بالوحي حتى مجلت يداها (3).

بل لقد قال الواوني: (كانت فاطمة جالسة قدامها رحي، تطحن بها الشعير، وعلى عمود الوحي دم سائل،

والحسين في ناحية الدار

---

(1) الكافي ج 6 ص 37.

(2) الكافي ج 6 ص 34 و 37.

(3) البحار ج 43 ص 84.

## الصفحة 46

بيكي(1).

فلو كان الإدماء، أو إلحاق الأذى، والألم بالنفس حراماً ذاتاً، أو قبيحاً عقلاً، لم يجز للهواء (عليها السلام) أن تفعل ما يوجب ذلك.

6 . إن الشلوع قد حكم بجواز الفصد، وإخراج الدم. وهذا شاهد آخر على ما ذكرناه.

7 . جواز نتف الشعر، الذي ورد التصريح بجوره في الوايات (كما في الوسائل وغيرها).

والكلام فيه كالكلام فيما سبقه.

### جواز الجرح لرغبة دنيوية:

8 . وأخراً نقول: إن الفقهاء يحكمون بجواز إجراء عمليات هدفها مجرد التجميل، تلبية لرغبة شخصية ولهدف

دنيوي بحت، وهو أن يصير ذلك الشخص بعدها أكثر مقبولية وجمالاً، بنظر الآخرين.

وقد أفتى الفقهاء بما يشير إلى مسارة الشلوع له في ذلك، فقد حكموا بأنه يسمح بالتيمم بدلاً عن الوضوء، ويسمح

له بالصلاة من جلوس، أو في حال الاستلقاء، وأن يومئ للسجود، ويعفى له عن دم الجروح في الصلاة أيضاً،

وما إلى ذلك.

وكل ذلك يدل على أنهم يرون: أن عروض عنوان المصلحة له. ولو كانت شخصية، وغير ذات أهمية، يكفي في

تسوية الإقدام على هذا الجرح.

---

( 1 ) الخواج والخواج ج 2 ص 530 و531.

## الصفحة 47



فما يقال: من عدم جواز أن يروح الإنسان نفسه، وأنه محرم، وقبيح بذاته، لا يمكن قبوله. فإن المحرم بذاته شراً، القبيح عقلاً، لا يمكن أن يصير حلالاً أو حسناً، فضلاً عن أن يصبح مستحباً، أو واجباً في بعض المولد. كما أننا لا نجد في كثير من المولد المشار إليها. كمورد الحواجة للتجميل. مصلحة تؤم بالتوخيص بهذا الحوام، فضلاً عن أن تجعله واجباً.

### مفارقة ظاهرة:

ومن الطريف هنا: أن بعض من لا يبيع روح الرأس في عاشوراء قد أجاز الملاكمة وغورها من الألعاب القتالية الخطوة، والتي لا شك في تأثرها السلبي على سلامة الأشخاص، وعلى حياتهم. والمسوغ لذلك عنده هو أن لهذه المبريات غرضاً عقلائياً!! مع العلم بأن هذه المبريات، فضلاً عما يصاحبها من أخطار، وما ينشأ من روح وأذى. إنما تتركز في كثير من الأحيان إلى المقامات والوهانات.

## الصفحة 49

### الفصل الثالث: مراسم عاشوراء في النصوص والآثار

## الصفحة 50

## الصفحة 51

### بداية:

إن الحديث في هذا الفصل، عن أمرين:

أحدهما: ما دل على جواز فعل ما يؤدي إلى الجرح، أو فقل، ما فيه إلى احتمال الهلاك.

الثاني: ما دل على جواز اللطم، فإلى ما يلي من مطالب.

### الجرح واحتمالات الهلاك:

قد كان ما تقدم يدور في فلك الآيات والروايات، وحكم العقل في ما يرتبط بالدائرة الأوسع، التي لا تختص

بعاشوراء..

وهذه باقريانة من النصوص الدالة على جواز التعرض للأذى، في خصوص مراسم إحياء ذكوى الإمام الحسين

(عليه السلام)، وهي طوائف.

الأولى: ما دل على جواز أن يعرض الإنسان نفسه للقتل، في سبيل إحياء ذكوى الإمام الحسين عليه السلام،

ونذكر هنا ما يلي:

## 1 . زيارة الناحية:

قال الشيخ المفيد في كتاب الزوار:

زيارة أخرى في يوم عاشوراء، برواية أخرى: إذا أردت زيارته بها

### الصفحة 52

في هذا اليوم، فقف، فقل... ثم ذكر الزيارة، وهي المعروفة بزيارة الناحية (1) وجاء فيها:

(( ولأبكينك بدل الدموع دماً، حسرةً عليك وتأسفاً على ما دهاك، حتى أموت بلوعة المصاب، وغصة الاكتئاب )) .

وجاء فيها أيضاً: (( تلطم عليك فيها الحور العين، وتبكيك السماء وسكانها )) .

وهذه الزيارة، وإن لم تكن ثابتة من حيث السند، لكن ذلك لا يعني أن تكون مكنوبة ومخرّعة.

وإنما نذكرها هنا، لا لتكون وحدها هي الحجة والدليل، بل لتسهم مع مثيلاتها من الروايات الكثيرة، ومنها ما هو صحيح ومعتبر، في تكوين تواتر مقنع، بأن التعرض للأذى، لإحياء أروهم صلوات الله عليهم، ليس حواماً ذاتاً، ولا هو قبيح عقلاً. بل إن إحياء أروهم (عليهم السلام)، كافٍ في إعطاء صفة المشروعية، أو الوجحان، للأعمال التي يكون فيها تروجة من الأذى الجسدي.

وعلى كل حال، فإن هذه الرواية تدل على أنه (عليه السلام) قد أجاز لنفسه، أن تصل به لوعة المصاب، وغصة الاكتئاب على الإمام الحسين (عليه السلام) إلى حد الموت، بسبب ذلك.

(1) راجع البحار ج 98 ص 238 و 239 و 241 و 317 و 320 راجع: الزوار الكبير ص 171 ومصباح الزائر ص 116.

### الصفحة 53

## 2 . الزيارة رغم مخاطر الغرق:

ألف: روي عنهم (عليهم السلام)، الحث على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) حتى مع احتمال الموت غرقاً،

فقد ذكر: أنه قيل للإمام الصادق (عليه السلام): يا ابن رسول الله، إن بيننا وبين قبر جدك الحسين لبحراً، وربما انكفأت بنا السفينة في البحر.

فقال: **((لا بأس، فإنها إن انكفأت، انكفأت في الجنة)) (1).**

ب: عن محمد بن جعفر القوشي الزاز، عن خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أحمد بن بشير السواج، عن أبي سعيد القاضي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في رواية، يقول فيها: **((ومن أتاه بسفينة، فكفت بهم سفينتهم نادى منادٍ من السماء: طبتم وطابت لكم الجنة)) (2).**

ج: قال ابن قولويه: حدثني أبي (رحمه الله)، وعلي بن الحسين، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن أحمد بن حمدان العلاني، عن محمد بن الحسين المحلبي، عن أحمد بن ميثم، عن محمد بن عاصم، عن عبد الله بن النجار قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): **((ترورون الحسين (عليه السلام)، وتركبون السفن؟))**. قلت: نعم.

(1) نظوتنا الفقهية في الشعائر الحسينية ص 11.

(2) كامل الزيارات ص 134 و 135 والوسائل ج 14 ص 458 ط مؤسسة آل البيت وفضل زيارة الحسين ص 57 و 58 تأليف محمد بن علي بن الحسين العلوي الشجري.

الصفحة 54

قال: **((أما تعلم أنها إذا انكفت بكم نوديتم: ألا طبتم وطابت لكم الجنة؟)) (1).**

**3 . محنة الإمام السجاد (عليه السلام):**

وفيما يرتبط بمدى حزن الإمام السجاد (عليه السلام) نقول:

ألف: لقد بكى الإمام السجاد (عليه السلام) حزناً على الإمام الحسين (عليه السلام) حتى خيف على عينيه (2).

وفي سياق آخر، قيل له: إنك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا (3).

ب: حدثني أبي (رحمه الله) عن جماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن أبي داود المستوق، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: ((بكى علي بن الحسين على أبيه حسين بن علي (صلوات الله عليهما) عشرين سنة، أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني

- (1) كامل الزيارات ص 135 والوسائل ج 14 ص 458 ط مؤسسة آل البيت، وفضل زيارة الحسين (عليه السلام) ص 57 و 58، تأليف محمد بن علي بن الحسين العلوي الشجري.
- (2) البحار ج 46 ص 108 وفي هامشه عن المناقب لابن شهر آشوب ط نجف ج 3 ص 303.
- (3) البحار ج 46 ص 109 عن المناقب أيضاً.

### الصفحة 55

أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون: إني لم أنكر مصوع بني فاطمة إلا خنقتني العوة لذلك)) (1).

ج: عن أحمد بن محمد بن عياش، عن جعفر بن محمد بن قولويه، عن عبيد الله بن الفضل بن محمد، عن سعيد بن محمد، عن محمد بن سلام بن يسار (سيار خ ل) الكوفي، عن أحمد بن محمد الواسطي، عن عيسى بن أبي شيبه، عن فوح بن وراج، عن قدامة بن زائدة، عن أبيه، عن الإمام السجاد (عليه السلام)، في حديث قال. واصفاً حاله حين حملت النساء على الأفتاب، ورأى الشهداء صوعى: ((... فيعظم ذلك في صوري، واشتد. لما رأى منهم. قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكوى بنت علي (عليه السلام)، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك، يا بقية جدي، وأبي، وإخوتي، الخ...)) (2).

### 4 . البكاء حتى العمى:

كما أن النبي يعقوب (عليه السلام) قد بكى على ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن، وخافوا عليه من الهلاك، أو أشوف عليه: (قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تُذَكِّرُ يَوْسُفُ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) (3).

( 1 ) كامل الزيارات ص 107 والبحار ج 79 ص 87 وفي هامشه عن الخصال ج 1 ص 131.

( 2 ) كامل الزيارات ص 261 (الزيادات)، والبحار ج 28 ص 57.

( 3 ) سورة يوسف / 85.

### الصفحة 56

فلو كان هذا وذاك حراماً ذاتاً، أو قبيحاً عقلاً، فلا يمكن أن يصدر من الإمام السجاد (عليه السلام)، أو من يعقوب النبي (عليه السلام)، إذ لا يتصور في حقهما، أن يخالفا الشوع، أو أن يكونا غير قادرين على إيراك قبح هذا الأمر، فإن الأنبياء، والأوصياء، هم أتم الناس عقلاً.

واحتمال: أن يكون البكاء حتى العمى، جائز في شوع السابقين دون شوعنا. لا يلتفت إليه، ما لم يثبت النسخ بدليل قاطع. خصوصاً مع ذكر الله تعالى لذلك في كتابه الكريم الذي يريد به تعليمنا وهدايتنا.

### 5. زيارة الحسين (عليه السلام) رغم المخاطر:

ومما يدل دلالة واضحة على أن اللطم والروح تابع لوجه والاعتبارات فإذا كان بعنوان إحياء ذكّهم جاز فعله. إن الأئمة (عليهم السلام) لم يقيموا وزناً للأخطار التي يواجهها زائر قبر الإمام الحسين (عليه السلام). فشجّوا على الزيارة رغم وجود الخوف المستمر، وحيث كانت القوات المسلحة ترصد الطوق، وتأخذ كل من يحاول الوصول إلى كربلاء، ليواجه الأذى والتكيل.

مع أن الزيارة مستحبة، وهؤلاء يدّعون: أن دفع الضرر المحتمل واجب، فكيف إذا كان هذا الضرر هو الضرب، أو الحبس، أو هلاك النفس؟!.

وكيف إذا كان ذلك الاحتمال قد كبر ونما حتى أوجد حالة قوية من الترقب والخوف؟.

بل إن بعضهم ذكر: أن بعض الشيعة كان يرضى بقطع يده، في سبيل أن يحصل على إجرة زيارة كربلاء، وما إلى ذلك، لأنه أترك: أن الحفاظ على الشعائر أولى من حفظ النفس، وقد يقال: إن الكلام إنما هو

## الصفحة 57

في أن يروح الإنسان نفسه، لا في عنوان الظالمين عليه.

ويجاب: بأن قوتهم على التحرز عن الضرر والهلاك تجعل من إقدامهم عليه أمراً غير مقبول، إذ لا فوق في الحرمة، بين أن يفعل الإنسان نفسه الجرح، أو القتل، ويقدم طائعاً مختلراً لمن يجرحه أو يقتله.

وعلى كل حال، فإننا نذكر في هذا السياق، النصوص التالية:

أ : حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن حماد ذي الناب، عن رومي، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ما تقول في من زار أباك على خوف؟

قال: ((يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر...))، الخ(1).

ب: بإسناده عن الأصم أيضاً، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: إني أتول الأرجان. وقلبي ينزلني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان، والسعاة، وأصحاب المسالحي (2).

فقال: ((يا ابن بكير، أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه)) الخ (3).

---

(1) كامل الزيارات ص 125 راجع: إرشاد العباد إلى لبس السواد ص 59 ميزان جعفر الطباطبائي ومكيال

المكرم ج 2 ص 388 ميزان تقي الأصفهاني.

(2) جمع مسلحة وهي المواضع التي فيها أناس مسلحون، من قبل السلطان.

(3) كامل الزيارات ص 126.

## الصفحة 58

ج: حدثني حكيم بن داود بن حكيم السراج، عن سلمة بن الخطاب، عن موسى بن عمر، عن حسان البصري، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

(( يا معاوية، لا تدع زيارة قبر الحسين (عليه السلام) لخوف. فإن من توكله رأى من الحسوة ما يتمنى أن قوه كان عنده. أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعلي، وفاطمة، والأئمة (عليهم السلام)...)) الخ (1).

د: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحموي، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصبم، قال حدثنا مدلج، عن محمد بن مسلم، في حديث طويل، قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام):

((هل تأتي قبر الحسين (عليه السلام)؟!))

قلت: نعم، على خوف ووجل.

فقال: ((ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف. ومن خاف في إتيانه آمن الله روعته يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين. وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، وزره النبي (صلى الله عليه وآله) ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء، واتبع رضوان الله)). ثم ذكر الحديث (2).

(1) كامل الزيارات ص 126.

(2) كامل الزيارات ص 127.

## الصفحة 59

ه: عن أحمد بن محمد بن عياش، عن ابن قولويه، عن عبيد الله بن الفضل، عن سعيد بن محمد، عن محمد بن سلام، عن أحمد بن محمد الواسطي، عن عيسى بن أبي شيبه، عن فوح بن وراج عن قدامة بن زائدة، عن أبيه،

قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): ((بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبد الله أحياناً؟!))



فقلت: إن ذلك لكما بلغك.

فقال لي: ((فلماذا تفعل ذلك، ولك مكان عند سلطانك، الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا، وذكر فضائلنا، والواجب على هذه الأمة من حقنا؟))

فقلت: والله، ما أريد بذلك إلا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صوي مكروه ينالني بسببه.

فقال: ((والله، إن ذلك لكذلك)). يقولها ثلاثاً، وأقولها ثلاثاً.

فقال: ((أبشر، ثم أبشر، ثم أبشر)) إلخ (1).

## 6 . ما دل على جرح الجسد:

ونذكر مما دل على جواز جرح الجسد، في نطاق إحياء أمرهم صلوات الله عليهم، ما يلي:

أ: ورد في زيارة الناحية المقدسة: ((ولأبكينك بدل الدعوى دماً)) (2).

(1) كامل الزيارات ص 260 و 261 والبحار ج 45 ص 179.

(2) البحار ج 98 ص 317 و 318.

## الصفحة 60

فإن الإمام (عليه السلام) وفقاً لهذه الرواية قد تعهد بأن يبكي على الإمام الحسين (عليه السلام) ولو أدى ذلك إلى أن تتوف عيناه دماً.

وربما يقال: إن ذلك قد جاء على سبيل المبالغة، أو المجاز.

ونقول: إن ذلك يحتاج إلى ما يثبتته، ولا يكفي فيه مجرد الدعوى، والاستحسان. وإن ما جرى لنبي الله يعقوب

الذي بكى على ولده . الذي كان يعلم أنه حي . حتى ابيضت عيناه من الحزن، إن ذلك يجعلنا نتردد كثيراً في قبول

دعوى المبالغة، والمجزية.

ب: وروى الصدوق عن جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد بن عامر، عن عمه عبد الله بن عامر، عن إواهيم بن أبي محمود، عن الإمام الرضا (عليه السلام): **((إن يوم الحسين أَوْح جفوننا، وأسبل دموعنا)) (1).**

فإن القوح هو الجرح. فإذا كان الأئمة (عليهم السلام) قد بكوا على الإمام الحسين (عليه السلام) حتى توححت جفونهم، فذلك يدل على كون هذا المقدار من الضرر ليس حواماً ذاتاً، ولا هو قبيح عقلاً، فلماذا لا يجوز لغرهم أن يتأسى بهم في ذلك؟! فلنلطم صدورنا، ولنفعل ما فيه بعض الألم أو الجرح. إلا إذا قيل: إن ذلك قد جاء منه (عليه السلام) على سبيل المجاز والكناية عن شدة وكثرة البكاء. وقد قلنا: إن ذلك لا يصار إليه إلا بدليل، خصوصاً، وأنه (عليه السلام) قد أورد ذلك على سبيل الإخبار عن أمر وقع خرجاً، فلا مجال

(1) الأمالي للصدوق ص 113 المجلس 27 ح 2 والبحار ج 44 ص 284.

## الصفحة 61

لدعوى المبالغة في مثل هذه الحال.

ج: وتقدم أن التزيخ قد حدثنا أن الحكام كانوا يرتكبون أعظم الجرائم حتى القتل في حق زوار قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، ويقدم الشيعة على هذا الأمر باختيلهم. ولم ينقل عن الأئمة (عليهم السلام) أي اعتراض على ذلك، أو تأفف منه، أو كراهة للإقدام عليه.

بل قد تقدم أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا يأمرّون شيعتهم بالزيارة، ويحثونهم عليها، رغم الأخطار التي تواجههم.

د: ويذكرون أن الإمام السجاد (عليه السلام) كان يبكي عند شرب الماء، حتى يجري مع الدمع الدم في الإناء، فقيل له في ذلك.

فقال: ((كيف لا أبكي؟ وقد منع أبي من الماء، الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش)) (1).

ه: ويذكرون أيضاً: أن السيدة زينب (عليها السلام) قد ضربت جبينها بمقدم المحمل، حتى سال الدم من تحت

قناعها (2).

و: وحين وصل السبايا إلى الكوفة، وخطب الإمام السجاد (عليه السلام)، وفاطمة بنت الحسين، وأم كلثوم بنت

علي (عليه السلام) بكى الناس.

أما النساء فقد (خمشن وجوههن ولطمن خدودهن إلخ...) (3) حسبما ذكره السيد ابن طلووس (رحمه الله) تعالى.

(1) تزيخ النياحة ج 6 ص 146 ، عن جلاء العيون للسيد عبد الله شبر، وعن أعيان الشيعة.

(2) البحار ج 45 ص 115 والفردوس الأعلى ص 22.19 المجالس الفاخرة ص 298.

(3) اللهوف ص 88 ط صيدا سنة 1929 والبحار ج 45 ص 112.

## الصفحة 62

إلا أن يقال: إنه لم يكن يمكن للإمام السجاد (عليه السلام)، أن ينهى عن ذلك.

غير أننا نقول: إن خطبته (عليه السلام) فيهم كانت أعظم خطراً عليه، من مجرد نهيهم لهم عن فعل الحوام.

ز: وقد قالوا: إنه حين رجع السبايا إلى المدينة (ما بقيت مخورة إلا بوزن من خدرهن، مخمشة وجوههن،

لاطمات خدودهن) (1).

وقد كان ذلك بحضور الإمام السجاد (عليه السلام)، وبوأى ومسمع منه، ولم ينهين (عليه السلام) عن ذلك. ولا

منعتهن عقولهن عنه.

ح: وتقدم أن مما يدل على جواز عمل ما يوجب تلف بعض الأعضاء خصوصاً مع وجود غرض شوعي، مثل

إظهار جلاله وعظمة نبي من أنبياء الله (عليهم السلام)، بكاء نبي الله يعقوب (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة

والسلام)، على ولده حتى (...أَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحَزَنِ فَهُوَ كَظِيمٍ) (2).

وعمى يعقوب أعظم خطأً من إدماء الرأس أو الظهر على الإمام الحسين الشهيد (عليه الصلاة والسلام)، فضلاً عن اللطم العنيف، أو غير العنيف، في مراسم الغواء.

ط: وتقدم: أن نبي الله يعقوب (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام) قد بلغ به الحزن على ولده يوسف الذي

فلقه، ويتوقع

(1) اللهوف ص114 ط صيدا ودعوة الحسينية ص117 والبحار ج 45 ص 147.

(2) سورة يوسف / 84.

### الصفحة 63

الاجتماع به . إلى حد أن أشرف على الهلاك، حتى قال له أبناؤه: (... تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين)(1).

ي: أضف إلى ما تقدم ما رواه الصدوق، عن أبيه، عن سعد، رفعه: ((أن الدمع قد خدّ خدي يحيى بن زكريا، وأكل منهما، حتى وضعت أمه عليهما لبدأ)) (2).

ك: روى الصدوق، عن محمد بن إراهيم، عن عمر بن يوسف، عن القاسم بن إراهيم، عن محمد بن أحمد الرقي، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن النبي (صلى الله عليه وآله): ((أن شعيب النبي (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام) قد بكى حتى عمي، فود الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي، فود الله عليه بصره)) (3).

ل: وروى الصدوق عن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن العباس بن معروف، عن محمد بن سهل الجواني، رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ((البكاؤون خمسة...)) إلى أن قال: ((فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية)) (4).

(1) سورة يوسف / 85.

(2) بحار الأنوار ج 67 ص 388.

(3) علل الشرائع ج 1 ص 54 باب 51 ط مكتبة الطباطبائي بقم. بحار الأنوار ج 12 ص 380.

(4) بحار الأنوار ج 79 ص 87 وج 11 ص 204 وفي هامشه عن الخصال ج 1 ص 131.

## الصفحة 64

م: وقد روي بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله)، قد أقرّ نساء الأنصار على ما فعلن بأنفسهن، ولم يعترض عليهن، وذلك حينما رجع من أحد، فبعد أن شوح الإمام الصادق (عليه السلام) بعض ما جرى في أحد، قال (عليه السلام):

(( ونساء الأنصار في أفنيّتهم على أبواب دورهم، وخروج الرجال، يلودون به، ويثوبون إليه، والنساء - نساء الأنصار - قد خدشن الوجوه، ونشرن الشعور، وجززن النواصي، وخرقن الجيوب، وخرمن البطون على النبي (صلى الله عليه وآله)... فلما رأينه، قال لهن خيراً، وأمرهن أن يستترن، ويدخلن منزلهن الخ...)) (1).

فيلاحظ: أنه (صلى الله عليه وآله) قد أقرهن على ما فعلن بأنفسهن من أجله، واكتفى بأمرهن بالتستر، ودخول المنزل، ولم ينههن عن جرح أنفسهن، ولا اعترض على خدش وجوههن.

وبالنسبة لقوله: ((وخرمن البطون)). قال المجلسي (رحمه الله):

) في أكثر النسخ بالحاء والراء المعجمة، أي كنّ شددن بطونهن لئلا تبدو عوراتهن، لشق الجيوب، من قولهم: خرمت الشيء، أي شددته.

وفي بعضها: (خرصن) بالحاء والصاد المهملتين. أي شققن وخرقن، يقال: حرص القصار الثوب، أي خرّقه بالدق.

وفي بعضها: (بالحاء والضاد المعجمة، على وزن التفعيل، يقال:

(1) الكافي ج 8 ص 318 والبحار ج 20 ص 107 . 109، وتفسير الصافي ج 1 ص 387، وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 398.

## الصفحة 65

أعرضه المرض، إذ أفسد بدنه، وأشفى على الهلاك(1).

### اللطم:

أما بالنسبة إلى اللطم، فقد ورد ذكره في العديد من النصوص أيضاً، نذكر منها:

1 . لما مروا بالسبايا على الحسين، وأصحابه صاحت النساء، ولطمن وجوههن، وصاحت زينب: يا محمداه الخ!!

(2).

وقد كان هذا مع حضور الإمام السجاد (عليه السلام)، وعدم نهيّه لهن عن ذلك، مع قدرته عليه، وطاعتن له.

2 . في زيارة الناحية المقدسة: **((فلما رأين النساء جوادك مخزياً، والسرج عليه ملوياً، خرجن من الخدور،**

**ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، وبالعويل مبارات...)).**

وليس بالضرورة أن تكون السيدة زينب (عليها السلام) أو بنات الإمام الحسين [عليه السلام] في جملة من فعلن

ذلك. غير أن ما يهمنا هنا هو أن الإمام السجاد (عليه السلام) كان حاضراً وناظراً، ولم ينههن عن ذلك.

3 . وقد لطمت النسوة الخدود في ليلة العاشر بحضور الإمام الحسين (عليه السلام)، فقال الإمام الحسين:

**((يا أختاه يا أم كلثوم، يا فاطمة، إن أنا قُتلت فلا تشقن علي جيباً،**

## الصفحة 66

**ولا تخمشن وجهاً، ولا تنطقن هجراً)) (1).**

والذي رواه السيد ابن طلووس (رحمه الله)، يوضح سبب نهي الإمام الحسين (عليه السلام) لهن عن ذلك، فقد

قال: **((لطمت زينب (عليها السلام) على وجهها، وصاحت. فقال لها الحسين (عليه السلام): ((مهلاً لا تشمتي**

**القوم بنا)) (2).**

كما أنه (عليه السلام) قد أظهر سبب وصيته هذه فيما ذكره في وصيته للنساء في وداعه الثاني، حيث قال لهن:

((...فلا تشكّوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم)) (3).

فيلاحظ:

أنه (عليه السلام) إنما قد خص نهيّه لهن عن فعل ذلك بما بعد موته. وهذا ما صرح به أيضاً حين قال لأخته زينب نفس هذه الكلمات، حيث جاء في آخرها: ((...إذا أنا هلكت...)).

يضاف إلى ذلك: أنه قد أوضح: أن سبب النهي هو أن لا ينقص ذلك، من قوهن، وأن لا يشمت الأعداء بهن.

4. وحينما سمعت زينب (عليها السلام) أباها الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ينشد: ((يا دهر أف لك من خليل...)) إلخ، لطمت

(1) مقتل الحسين للمقوم ص 261 عن الإرشاد، وتهذيب الأحكام للطوسي ج 8 ص 325 والذكوى للشهيد ص 72 ط حجرية.

(2) كتاب الملهوف ط صيدا ص 51 والبحار ج 44 ص 391.

(3) مقتل الحسين للمقوم ص 337 عن جلاء العيون للمجلسي.

### الصفحة 67

وجهها، وهوت إلى جيبها فشقتّه، ثم خرت مغشياً عليها) (1).

5. وحين اقترب جيش ابن سعد من الإمام الحسين (عليه السلام) في اليوم التاسع، وهو جالس مُحْتَبِّ بسيفه،

قالت له زينب: أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت!؟

( فرفع الحسين رأسه وقال: ((إني رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الساعة في المنام، فقال لي: إنك تروح إلي)).

فلطمت أخته وجهها، ونادت بالويل...)) إلخ (2).

6. روى الشيخ الطوسي عن أحمد بن محمد بن داود القمي في نواوه، عن محمد بن عيسى، عن أخيه جعفر،

عن خالد بن سدير، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام).. إلى أن قال الإمام (عليه السلام):

(( ولقد شققن الجيوب، ولطمن الخود الفاطميات على الحسين بن علي. وعلى مثله تلطم الخود، وتشق

الجوب)) (3).

وفي هذا الخبر حث ظاهر على اللطم على أبي عبد الله (عليه السلام).

وفي الجواهر: (إن ما يحكى من فعل الفاطميات ربما قيل إنه

(1) الإرشاد للمفيد، ص 232 ط مؤسسة الأعلمي سنة 1399 هـ. ومقتل سيد الأوصياء للكاظمي ص 98.

(2) الإرشاد للمفيد، ط مؤسسة الأعلمي ص 230.

(3) تهذيب الأحكام ج 8 ص 325 وكشف الرموز ج 2 ص 263 وجامع أحاديث الشيعة ج 3 ص 392 الوسائل

ج 15 ص 583 ط المكتبة الإسلامية. والمهذب البواع ج 3 ص 568 والمسالك للشهيد الثاني ج 10 ص 29.





## الصفحة 68

متواتر(1).

وقال ابن إريس: (إن أصحابنا مجمعون عليها في تصانيفهم وفتواهم)(2).

7. وقد روى الصدوق بأسانيده، وروى غوه: أن دعبل الخواعي أنشد الإمام الرضا (عليه السلام) تائيته

المشهورة، ومنها قوله:

أفطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فوات  
 إذن للظمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات

فلم يعترض عليه الإمام (عليه السلام)، ولم يقل له: إن أمنا فاطمة (عليها السلام) لا تفعل ذلك لأنه حرام، بل هو

(عليه السلام) قد بكى. وأعطى الشاعر جائزة، وأقوه على ما قال(3).

8. وذكر في اللهوف: أنه لما رجع السبايا إلى كربلاء في طويقهم إلى المدينة، (وجدوا جابر بن عبد الله

الأنصلي، وجماعة من بني هاشم، ورجالاً من آل الرسول قد وردوا لزيارة قبر الحسين، فتوافوا في وقت واحد،

وتلاقوا بالبكاء، والحزن، واللطم، وأقاموا المآتم المقوحة

(1) جواهر الكلام ج 4 ص 371.

(2) الجواهر أيضاً ج 33 ص 184 وراجع أيضاً كشف الرموز ج 2 ص 263.

(3) راجع على سبيل المثال: عيون أخبار الرضا ج 2 ص 263 و 264 والبحار ج 49 ص 237 و 239 . 252

مقتل الحسين للخوارزمي ج 2 ص 131 والغدير للعلامة الأميني، وغير ذلك كثير.

## الصفحة 69

للأكباد، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً (1).

فهل كان الإمام السجاد (عليه السلام) غائباً عن كل هذا؟

ألم يكن معهم في كربلاء حين رجوع السبايا؟

أليس قد لطموا، وأقاموا على ذلك أياماً والإمام السجاد (عليه السلام) معهم؟ فلماذا لم ينههم عن ذلك؟!

فلو أنه كان (عليه السلام) قد اعترض عليهم بمخالفة ذلك لأحكام الشريعة، لذكروا لنا ذلك، ولكانوا أطاعوه، ولم يقيموا أياماً، وهم يفعلون ذلك.

9 . تقدم أنه حين وصل السبايا إلى الكوفة، واجتمع الناس، وخطبهم الإمام السجاد (عليه السلام) وفاطمة بنت

الحسين (عليه السلام)، وأم كلثوم بنت علي (عليه السلام)، بكى الناس.

كما أن النساء (خمشن وجوههن، ولطمن خودهن، ودعون بالويل والثبور).

10 . في كامل الزيارات: (أن الحور قد لطمت على الحسين في أعلى عليين)، فاجع (2).

11 . وتقدم في زيارة الناحية المقدسة، قوله: ((تلطم عليك فيها

(1) اللهوف ص 112 و 113 ط صيدا والبحار ج 45 ص 146، وجلاء العيون ج 2 ص 272 و 273.

(2) كامل الزيارات ص 80 والبحار ج 45 ص 201.

الصفحة 70

الحور العين)) (1)

12 . روي استحباب الخوع على الإمام الحسين (عليه السلام). والأحاديث في ذلك كثرة.

وقد فسر الإمام الباقر (عليه السلام) الخوع بما يشتمل على لطم الوجه والصدر.

فقد روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، والحسن بن علي

جميعاً، عن أبي جميلة، أن جاواً قال للإمام الباقر (عليه السلام): ما الخُوع؟!

فقال (عليه السلام): **((أشدّ الخُوع الصراخ بالويل، والوعيل، ونظم الوجه والصدر...))** الخ (2) وعن علي بن

إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن أبي جميلة، عن جابر مثله.

فإن قيل: إنه (عليه السلام) قد فسر الخُوع، لكنه لم يصوح بجوره.

فالجواب هو: أن الروايات الصحيحة التي صوحت باستحباب الخُوع، على الإمام الحسين (عليه السلام) كافية في

إثبات جوره بجميع روايته، حيث لم يقيد فيها الخُوع بشيء.

### استطواد تاريخي:

وثمة نصوص كثيرة لا تدخل في سياق الاستدلال، غير أننا نذكرها

(1) تقدمت مصادر ذلك حين ذكر الرواية تحت عنوان: احتمالات الهلاك لا تمنع..

(2) راجع: وسائل الشيعة ط المكتبة الإسلامية ج 2 ص 915.

### الصفحة 71

لمجرد إطلاع القرئ عليها، وهي التالية:

1 . إنه قد حصل اللطم في بيت يزيد بالذات، فقد ذكروا: أنه لما أدخل السبايا على يزيد، (قالت فاطمة ابنة

الحسين: يا يزيد، أبنا رسول الله سبايا؟!).

قال: بل حوائر كوام، ادخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت.

قالت: فدخلت إليهن، فما وجدت منهن إلا سفيانية متلدمة (1).

واللدم هو اللطم).

2 . ويقولون: إن سليمان بن قنّة العنوي التيمي مر بكوبلاء، فنظر إلى مصراع الشهداء، فبكى حتى كاد أن

يموت. وكان مروره هذا بعد استشهاده الإمام الحسين (عليه السلام) بثلاثة أيام (2).

3 . إن ابن عمر قد ضرب على رأسه لما بلغه خبر قتل الحسين (عليه السلام) (3).

4 . وقد ذكر في البحار قصة الأسد الذي كان يأتي كل ليلة إلى الجثث الطاهرة، فيوغ وجهه فيها. فاقبه ذلك

الرجل الذي رآه . وهو من بني أسد . حتى اعتكر الظلام .

وإذا الشوع معلقة، ملأت الأرض . وإذا ببكاء، ونحيب، ولطم

(1) إقناع اللائم ص 153 ، عن العقد الفريد لابن عبد ربه، عن المدائني .

(2) أعيان الشيعة ج 25 ص 368 ط أولى .

(3) الخصائص الحسينية: ص 187 .

## الصفحة 72

مفجع، فقصد تلك الأصوات، فتبين له أن هلاء من الجن (1).

5 . ونذكر هنا: أنه في سنة 346 هجرية لطم الناشي (الشاعر) لطماً عظيماً على وجهه، حينما علم أن البعض قد

رأى السيدة الزهراء (عليها السلام) في المنام . وأشارت إلى قصيدة كان الناشي قد نظمها في الإمام الحسين (عليه

السلام)، ولطم أيضاً أحمد المزوق، والناس كلهم . وكان أشد الناس في ذلك: الناشي، وأحمد المزوق (2).

6 . ويذكرون أيضاً أن السيد المرتضى (رحمه الله) قد زار الإمام الحسين (عليه السلام) بكربلاء في يوم

عاشوراء سنة 396 هجرية، مع جمع من أصحابه وتلامذته، فوجد هناك جمعاً من الأعواب، يضربون على

الخدود، ويلطمون على الصدور، وينوحون ويبكون، فدخل معهم السيد وتلامذته، وهو يلطم على صوره . ورأوه

ينشد:

**كربلا لازلت كرباً وبلا...**

إلى آخر القصيدة التي هي من نظم أخيه الشريف الرضي (3).

7. وفي سنة 352 هجرية أمر معز الدولة البويهى بتعطيل الأسواق في عاشوراء . (وأن يخرج الرجال والنساء، لاطمي الصور والوجه).

ويذكر هذا اللطم أيضاً في سنة 402 هجرية، فاجع(4).

(1) البحار ج45 ص194 وجلاء العيون ج2 ص292 و293.

(2) تزيخ النياحة ج2 ص22، عن بغية النبلاء ص161.

(3) تزيخ النياحة ج2 ص26 عن كتاب المواكب الحسينية لعبد الرزاق الحائر الأصفهاني، عن كتاب عمدة الأخبار ص43.

(4) البداية والنهاية ج11 ص254 و245 ، وتزيخ ابن الوردي ج1 ص402.

### الصفحة 73

وكذا في سنة 423 هجرية(1).

ونكتفي بهذا المقدار، فإن المقصود هو مجرد الإشلة.

### الإضواب عن الطعام في عاشوراء :

وورد أيضاً ما يدل على جواز الإضواب عن الطعام في يوم عاشوراء، حتى تظهر آثار ذلك في الوجه.

فعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحموي، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصوي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن مسمع بن عبد الملك كوردين البصوي، قال:

قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): ((يا مسمع، أنت من أهل الواق...)) إلى أن قال: ((فتجزع؟!))

قلت: إي والله، واستعبر لذلك، حتى رى أهلي أثر ذلك علي، فامتنع من الطعام حتى يتبين ذلك في وجهي.

قال: ((رحم الله دمعك، أما إنك من الذين يعدّون من أهل الجوع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا

الخ...)) (2).

وذلك معناه: أنه يجوز فعل ما فيه أذى للنفس ومشقة عليها في عاشوراء، بل يستحب ذلك.

(1) راجع: تريخ كاظمين (فلسي) لعباس فيض ص84.

(2) كامل الزيارات ص101، وغير ذلك.

### الصفحة 74

#### تواتر الأخبار:

وبعدما تقدم نقول: إن ما ذكرناه فيما تقدم من آيات وروايات، رغم أننا اكتفينا منه بما تيسر لنا، يوضح بجلاء نظرة الإسلام في هذا الاتجاه. وقد ظهر أن النصوص كثرة جداً، ودعوى تواترها لابد أن ينظر إليها بجدية، و بخوع تام.

### الصفحة 75

#### الفصل الرابع: توضيحات حول العواسم

### الصفحة 76

### الصفحة 77

## تعظيم الشعائر وإحياء أمرهم (عليهم السلام):

وبعد:

فإن يوم عاشوراء، هو من أعظم أيام الله أثراً في إحياء الدين وحفظه، وحفظ جهود الأنبياء، وهو من أجلى مصاديق شعائر الله، التي أمرنا الله سبحانه بتعظيمها: **(.. وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)** وإن المواكب الحسينية، ومراسم الغزاء في هذا اليوم من أظهر مفردات هذا التعظيم، كما أنها من سبل إحياء أمرهم (عليهم السلام)، وقد أمروا (عليهم السلام) بهذا الإحياء. وضرب السلاسل، واللطم، وجرح الرؤوس، لم يأت تشهياً، وبدون هدف، بل هو قد جاء على سبيل التعظيم، وبهدف إحياء أمرهم (عليهم السلام)؛ فيكون محبوباً لله سبحانه.

### جواز الجرح واللطم مطلق:

ولأجل ذلك نقول: إن حلية اللطم، وضرب السلاسل، وجرح الرؤوس لا تحتاج إلى التهاب الأفئدة بحرقه المصاب إلى نرجة ينتج عنها هذه الأفعال. كما زعم بعض الناس. بل إن نفس الظهور على هذه الحالة، وإظهار هذه الكيفية أو تلك،

### الصفحة 78

تعظيم للشعائر، وإحياء للأمر، وهو محبوب لله تعالى، وهو عبادة وعد الله عليها الثواب. حتى لو لم يصاحبه حرقه ولا بكاء، ولا حتى حزن.

ويدل على ذلك أيضاً، وجود أحاديث كثيرة تأمر بالتباكي على الإمام الحسين (عليه السلام)، مما يعني: أن الثواب يترتب على البكاء الحقيقي ترة. وعلى التظاهر بالبكاء ترة أخرى.

وكذلك الحال في المراسم، فإن الثواب يكون على نفس فعل هذه الكيفيات التي هي مصداق للتعظيم، أو لعنوان إحياء أمرهم (عليهم السلام).

### النوايا في المواكب الحسينية:

وبعدما تقدم نقول:

قد يقول البعض: إنه لا بد للفقهاء من أن يحرم اللطم، وضرب الرؤوس، لأن كثيرين ممن يملسون ذلك، إنما يفعلون ذلك للاستعراض. وبعضهم لا يلتزم بأحكام الشريعة.

والجواب هو: إن وظيفة الفقيه هي أن يعطي حكم الله في الواقعة، وليس له، ولا هو مطالب بأن يفتش عن نوايا الناس، وعن قصودهم.

فهو يقول للناس: عظموا شعائر الله، وأحيا أمر أهل البيت (عليهم السلام)، والناس هم الذين يختارون كيفيات ذلك ومفرداته، كل بحسب حاله.

ويقول: إن في المواقب الحسينية تعظيماً لشعائر الله، وفيها أيضاً إحياء لأمرهم (عليهم السلام)، وعلى الناس أن يقوموا بها لهذا الغرض، تحقيقاً للأهداف الإلهية، وانصياعاً لأوامره سبحانه.

## الصفحة 79

وليس له أن يقول: فلان يقصد هذا الأمر أو لا يقصده، وفلان الآخر حزين أو غير حزين. وفلان الثالث رائئ في ما يفعل أو لا رائئ. فإن الله لم يطلع أحداً على غيبه، ولا بد من حمل فعل المسلم على الصحة.

ولنفترض وجود مرائين أو منحرفين، فإن ذلك لا يجوّز لنا الدعوة إلى إلغاء تلك الشعائر من الأساس، وإلا لساقنا ذلك إلى إلغاء الواجبات حتى الصلاة. فإن هناك من يحاول العراءات فيها، وخداع الناس عن طريق التظاهر بالعبادة والتقوى من خلالها.

وهل يجوز لنا أن نمنع الناس من الحج، لعلمنا بأن بعضهم رائئ فيه؟!

وهل تمنع الصلاة جماعة لأجل ذلك أيضاً؟! إذا علمنا بوجود أمثال هؤلاء.

وإذا كان هناك أفراد رؤوون الناس بهذه الشعائر، فإنما هم أفراد قلائل، وتبقى الكثرة الكاثرة من المشركين فيها لا شك بأنهم من أهل الخير، والإيمان، وطهارة النية.

فإذا كان لا بد من التحريم، والمنع، فإنما يمنع من يُعلم أنه يفعل ذلك رياءً وسمعة. نون من لا يعلم منه ذلك.



إن المطلوب هو: أن ندعو الناس إلى القيام بواجباتهم، وإحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام)، وبتعظيم الشعائر، بهذه المراسم، وسواها، ثم نوبي الناس، ونهئ نفوسهم لإخلاق النوايا لله تعالى، بالدعوة إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة.

## الصفحة 80

### المعتضون ووافعهم:

وإذا أردنا أن ندرس واقع الذين يثيرون الانتقادات على هذه المراسم، فسوف نخرج بحقيقة: أن من ينتقدونها، ويشنعون عليها، تختلف نوافعهم، وأغراضهم من ذلك.

فهناك من لمس وجود خلل في فهم هذه المراسم لدى فريق من الناس الغرباء عن الدين، وخاف أن يؤثر ذلك صدوراً منهم عن الحق، وعناداً في قبول حقائقه. فأراد أن يحتفظ بفرصة تمكن من فتح قلوبهم على الهدى وعقولهم، على الحق.

فهذا النوع من أهل الغرابة على الدين، لا بد أن يشكر على هذا الوعي، وعلى تلك الغرابة. مع لفت نظره إلى أننا نوافقه على ذلك من حيث المبدأ، غير أننا نقول: إن ما يفكر به، وإن كان صحيحاً في بعض المورث، ولكنه لا يمكن تعميمه لكل زمان ومكان.

وهناك من يرفض كل مظاهر الحزن في عاشوراء، انطلاقاً من هوى مذهبي، أو تعصبا لآي، أو لجهة يرى أن عليه أن يمنع من إفشاء ما يرتبط بها من حقائق تدينها، أو تقلل من احترام الناس لها.

وهناك فريق ثالث يهاجم مظاهر الحزن في عاشوراء، سعياً منه إلى تشكيك الناس بدينهم، وإضعاف حالة الاندفاع نحو الالتزام بأحكامه. وإسقاط محله في نفوسهم، وإبعادهم عن حالة التعبد والانقياد، والتقديس لمقدساتهم.

وقد يكون الرفض من البعض بسبب أنه يرى: أن مظاهر الحزن على الحسين (عليه السلام)، تنتج فكراً يضر بمصالحه، وتربي مشاعر، وتثير وجداناً، وتعمق وعياً، لا يؤمن به، ويلزم نفسه برفضه، وبمحلته،

## الصفحة 81

ووأده في مهده.

ولا يقتصر نشاط هذا النوع من الناس، على محلبة عاشوراء والإمام الحسين (عليه السلام)، بل هم أيضاً يحاولون السخرية بمن يصلي، وبمن يلتم بالزكاة، ويهؤون أيضاً بأحكام الحج ومناسكه، وبالطواف حول البيت، ورجم الجمار، وذبح الأضاحي و و و إلخ.

بل هناك من حاول المنع من تعليم بعض سور القرآن التي تتحدث عن اليهود، وهناك من حرفوا بعض آيات القرآن النزلة في بني إسرائيل واليهود.

وهناك أناس تحدث القرآن لنا عن سخريتهم بالأنبياء، وذكر لنا كيف أن الأنبياء قد واجهوا السخرية بمثلها، في قوله تعالى فيما حكاه عن نبيه فوح (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام): **(...إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مَنكُمْ**

**كَمَا تَسْخَرُونَ)(I).**

إنهم يرون أن حربهم هذه، قاهرة على التأثير في إسقاط رادتنا، وإضعاف صلابتنا خصوصاً حين يتهموننا بالجهل، والخوافية، والسقوط، والتخلف، والقسوة، و و و.

وأخيراً، فإن هناك من يهاجم، ويدين، وينتقد، ولكن بحسن نية، وسلامة طوية، دون أن يعرف حقيقة الأمر، ودون أن يقف على موارده ومصارفه، فهو واقع تحت تأثير إعلام هؤلاء وأولئك، يظن صحة ما قالوه، فيبادر . مخلصاً . إلى المطالبة بتصحيح ما راه خطأ خطأ، أو الخروج مما راه مرقاً كبيراً.

(1) سورة هود 38.

الصفحة 82

ماذا لو استجبنا لمطالبتهم:

ولو أردنا أن نخضع لهذا الجو الضاغط، الذي يثوره الحاقنون. فإن علينا أن نتوقع: أن نطالب ربما بالخروج عن ديننا إلى دينهم، والعياذ بالله، فإن جميع أعداء الدين والمذهب لا يرضون بما نحن عليه وقد قال تعالى: **وَلَنْ**

## تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ... (1).

ولو أردنا أن نخضع لهذه الأجواء، فإن علينا أن نلغي رجم الواني المحصن، وقطع يد السرقة، والحكم بعدم جواز تزويج المطلقة ثلاث مرات إلا بعد أن تتكح زوجاً آخر، وغير ذلك من التشويعات التي يعلن العلمانيون رفضها، ويجاهرون بنقدها، ويهتمون بتسفيهاها، ويتابعهم على ذلك كثير من الناس البسطاء، الذين لا حظ لهم من العلم، ويأخذون الأمور، بسلامة نية، وحسن طوية.

إن ما يجري في عاشوراء، حتى جرح الرؤوس، وضرب السلاسل، واللطم، وغير ذلك لم تثبت حرمة الشوعية، ولا هو مما يحكم العقل بقبحه، وتلك هي الشواهد والدلائل تشير إلى مشروعيته.

فلماذا يقال: إن فيه توهيناً للمذهب، في كل جيل، وكل قبيل؟!.

ولماذا تطلق التعميمات بهذه الصورة؟!.

ولماذا لا يقال: إنه حيث يلزم التوهين، فلا بد من الامتناع عنه، وحيث يلزم الإغزاز، فلا حرج فيه، ولا جناح؟!.

نعم، ربما يكون في ذلك بعض الحرج النفسي لدى فريق من الناس، ممن يفاجأون بمشاهد صعبة وغريبة عما

عرفوه، وألفوه. فلا بد

---

( 1 ) سورة البقرة / 120.

### الصفحة 83

من مراعاة حال هؤلاء والوفيق بهم، وتيسير الإيمان لهم.

ولا يكفي مجرد الشعور بالخوف والرهبة لدى من يشاهد جرح الرؤوس، لإصدار الحكم بالتحريم. إذ لو كان ذلك كافياً للزم أن نمنع من ذبح البقر والغنم أيضاً، لأن كثيراً من الناس يتألمون من مشاهدتها وهي تذبح. كما أن

علينا أن لا نقتل القاتل. وأن لا نجلد الواني، أو أن نوجمه، وأن لا نرضى بقوله تعالى: **(..وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا**

**طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) (1)** فإن هناك الكثير من الناس يخافون، ويهبون حالات كهذه، كما أن كثيرين منهم لا

يرضون بالاتّوام، ولا بالإمامهم بمثل هذه الأمور.

وفيما عدا ذلك، فإننا قد قلنا آنفاً: إنه لو كان فعل ذلك في بعض المواضع موجباً لصدود الناس عن التفكير

بالإسلام، فلا بد من مراعاة حالهم، عملاً بالآية الشريفة: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...)(2).

لكن ذلك لا يعني أن تشن حملة على كل من يريد مملسة هذه الشعائر، بحيث تشمل هذه الحملة حتى المواضع التي ليس في مملستها فيها أي محذور.

### خلاصة وتوضيح:

وختاماً نقول: إن مسألة الغواء والمواساة والخزع على الإمام

(1) سورة النور / 2.

(2) سورة النحل / 125.

## الصفحة 84

الحسين (عليه السلام) وما يمثله من الحضور الدائم، لهذه الشخصية في الوجدان الإنساني، له أثر عظيم في دفع هذا الإنسان باتجاه العمل، والسير نحو الهدف الأسمى، الذي ضحى لأجله (عليه السلام) بكل ما لديه، وبأعلى ما يملك.

وله أثر عظيم أيضاً في ربط الإنسان عاطفياً، ووجدانياً، وإنسانياً بأهل البيت (عليهم السلام)، وتفاعله مع قضاياهم، وتسليمه لهم بكل وجوده، وبكل مشاعره وأحاسيسه، فيحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم.

وهل أعظم من واقعة كربلاء مناسبة يعبر فيها الإنسان عن هذا الارتباط، وتلك العلاقة بهم (عليهم السلام)؟

وقد يكون التعبير عن هذا الحزن والخزع بأشكال وطرق مختلفة، يظهر من خلالها ذلك الشعور الإنساني،

القطوي، المتركز إلى قداسة الأهداف، والى مقام من ضحى من أجلها، ومعرفة منزل كرامته، وقداسة شخصيته،

وحساسية موقعه من هذا الدين.

وقد جاءت الأوامر الشرعية لتعطي الإنسان فسحة ومجالاً واسعاً، من خلال تسجيل الأمر بإقامة الغواء على عناوين عامة، مثل: **((أحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا))**.

حيث تركت لكل إنسان، الحرية في اختيار الأسلوب والطريقة التي تناسبه، بشوط أن يكون ذلك وفق أحكام الشرع، وحيث لا يصاحب ذلك أية مخالفة أو إساءة، فإنه لا يطاع الله من حيث يعصى.

فالإنسان هو الذي يختار، كل حسب حاله، وظرفه، وخصوصيته.

فأحيأها الشاعر بشوه.

وأحيأها الأديب بنؤه.

## الصفحة 85

وأحيأها ثالث بإقامة مجالس الغواء.

ورابع آثر أن يسقي الناس الماء، لينكوهم بعطش الحسين (عليه السلام).

وخامس علق قطعة سوداء على الطويق العام.

وسادس نظم مسورة تحمل فيها الشوع في ليالي عاشوراء.

وهكذا تستمر قائمة وسائل التعبير تتنامى وتتكاثر باطواد.

وكان منها تنظيم المواكب من قبل من آثر أن يعظم شعائر الله، ويحيي أمرهم صلوات الله وسلامه عليهم، بطريقة

جورأسه بألة حادة، أو آثر ضوب ظهوه بالسلاسل، أو اللطم في المواكب والمجالس.

وقد حاول كثير من المخالفين لأصل إحياء ذكرى عاشوراء، تهجينها، والتنفير منها، وأثرت مؤخراً أسئلة حول

هذه الموضوعات الأخوة، وبذلت محاولات جادة أيضاً لتهجينها، والتنفير منها، والتشكيك بمشروعيتها، رغم

وجود فتوى لأكثر مراجع الأمة في هذه العصور المتأخرة بالمشروعية.

وإذا كان ثمة من تحفظ، فإنما هو في المورد التي يلزم فيها عكس ما قصد منها. كالمورد التي تؤدي إلى صد الناس عن الحق. وتضييع فرصة الهداية عليهم.

واللافت هنا، ما تظّهره لنا شاشات التلفزة في هذه الأيام، من ممرسة المسيحيين لأساليب حادة جداً للتعبير في هذا المجال، إلى حد دق المسامير في أيديهم، وهم على الصليب، لمواساة النبي المسيح عليه السلام، فيما يعتقدون أنه جرى عليه، هذا عدا حملهم الصليب مسافات طويلة على الظهر، تعبيراً عن الآلام!!

## الصفحة 86

ولم نجد أحداً ثرت ثأرته، فوماهم بالتخلف، وبالخافية، ولم يعترض ولم يخجل أحد من أتباع تلك الديانة من عرض تلك المشاهد على شاشات التلفاز.

فلماذا نستسلم نحن لحملات التشنيع المغوضة على عاشوراء، والتي تأتينا من جهات حاقدة ومغوضة من غوبيين وغيرهم، ممن يعادون عاشوراء، ويعملون على إخماد جنوتها، وإطفاء نورها، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويتم حجته، وينصر دينه وأولياءه.

وبعد أن ظهر أنه لا مشكلة في أن يروح الإنسان رأسه، لغرض عقلائي شخصي، دنوي، وأنه ليس حواماً ذاتاً، ولا هو قبيح عقلاً. نون ما لم يكن له أي غرض أصلاً، كأن يكون لأجل العبث واللعب مثلاً. بعد أن ظهر هذا وسواه، مما تقدم في ثنايا هذا البحث، نقول:

أي غرض أعظم، وأسمى وأشرف، من إحياء أمهم (عليهم السلام)، إذا كانت هذه المراسم موجبة لعز الدين، وتثبيت اليقين. وفي المواضع الخالية من خطر التوهين، والصد عن سبيل الهداية، وليس فيها أي أثر لإثارة الذعر في النفوس، وإخافتهم، وجعلهم يهربون من هذا الدين، مع أن اللازم هو مراعاة حالهم، والرفق بهم، على قاعدة:

**(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...).**

## إعادة وإفادة:

ونعود فنلخص بعض ما تقدم على النحو التالي:

إنه تلة يكون تعظيم الشعائر بالوسائل والكيفيات التي قرها الشلوع مباشرة، وأخرى يكون الأمر الشوعي متعلقاً

بعنوان عام، وقد ترك

### الصفحة 87

أمر الوسائل والتطبيقات لذلك العنوان، للناس أنفسهم ليبتكروها، كل حسب ظروفه، وطبيعة إمكانياته.

مثال ذلك:

لو أن الشلوع أمرك بتعظيم والديك واحترامهما، فعنوان الاحترام هو المأمور به، وأنت الذي تختار، أو تخزع

وسيلة ذلك، فتكومهما بالهدية تلة، وبتقبيل اليدين أخرى، وإجلاسهما في صدر المجلس ثالثة، وهكذا.

وكذلك حين أمرك بالتحية، فقد تكون تحيتك بالسلام، أو برفع اليد، أو بكلمة مرحباً، أو صباح الخير، أو يوم

سعيد، أو برفع القبعة، أو بالتحية العسكرية، أو بضم اليدين مع انحناءة يسرة، وما إلى ذلك.

وكذلك الحال إذا أمرك بإحياء أمر الحسين (عليه السلام).

فتلةً يحدد لك هو الوسيلة، كاؤيلة، والاغتسال لها، وعقد مجالس الغاء، ونحو ذلك. فلا بد أن تفعل نفس ما

أمرك به. ولو أن العالم كله غضب واستاء لذلك، فإن غضبهم واستيائهم لا يعينك، ولا يمنك منه احتقلهم،

واستهؤؤهم، وشتمهم وأذاهم، وحتى قتالهم لك، لأن الله قد حدد الطريقة، فوجب القيام بها كما أمر سبحانه.

ولهذا فنحن لا نصغي لأي انتقاد منهم لصلاتنا، أو لحجنا، أو لملايين الأضاحي التي نذبها قرباناً في كل سنة في

موسم الحج، أو لومي الجبرات، أو للطواف، أو غير ذلك.

وتلة يعطي لنا نحن الدور والخيار في اختيار الأسلوب والوسيلة، كما هو الحال في الأوامر الشوعية بتعظيم

شعائر الله وإحياء أمرهم (عليهم السلام).

### الصفحة 88

وفي هذه الحال نقول: إننا قد نوقق فيما نختله من أساليب، وتطبيقات لتلك العناوين، وقد لا يحالفنا التوفيق في

ذلك. بأن كانت بعض المفردات التي نختلها تسيء إلى الهدف، ولا تعطي النتيجة المرجوة أصلاً، أو أنها تعطي النتيجة في هذا المكان، ولا تعطيها في ذلك المكان، أو في هذا الزمان دون ذلك الزمان.

فالأمر إذن بالنسبة إلى اختيار الأسلوب والوسيلة يكون متوقفاً على النتيجة، وما يترتب عليها، لا على نفس العمل من حيث هو.

وعلى هذا نقول: إن موضوع جرح الرؤوس، وضرب الظهر بالسلاسل، قد يختلف الحكم فيه بحسب الأحوال، والأزمان، والأمكنة، فيكون مورداً للأحكام الشرعية الخمسة: (الإباحة، والوجوب، والاستحباب، والكراهة، والحرمة).

فقد يكون هذا العمل مستحباً هنا، ومكروهاً هناك، وقد يكون واجباً هنا، ومحرمًا هناك. والحمد لله، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

## الصفحة 89

### كلمة أخوة:

وقبل أن نودع القارئ الكريم، شاكرين له ثقته، ومقترين له صوره، وتحملهُ معاناة قِراءة هذا البحث. فإننا نسأل الله أن يوفقنا وإياه للسير على هدى أئمتنا (عليهم السلام)، وأن يجعل عواقب أمورنا خيراً، وأن لا يخرجنا من الدنيا حتى يرضى عنا، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول. والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

بيروت في 12 ذي الحجة 1422 هـ.ق

جعفر مرتضى العاملي

